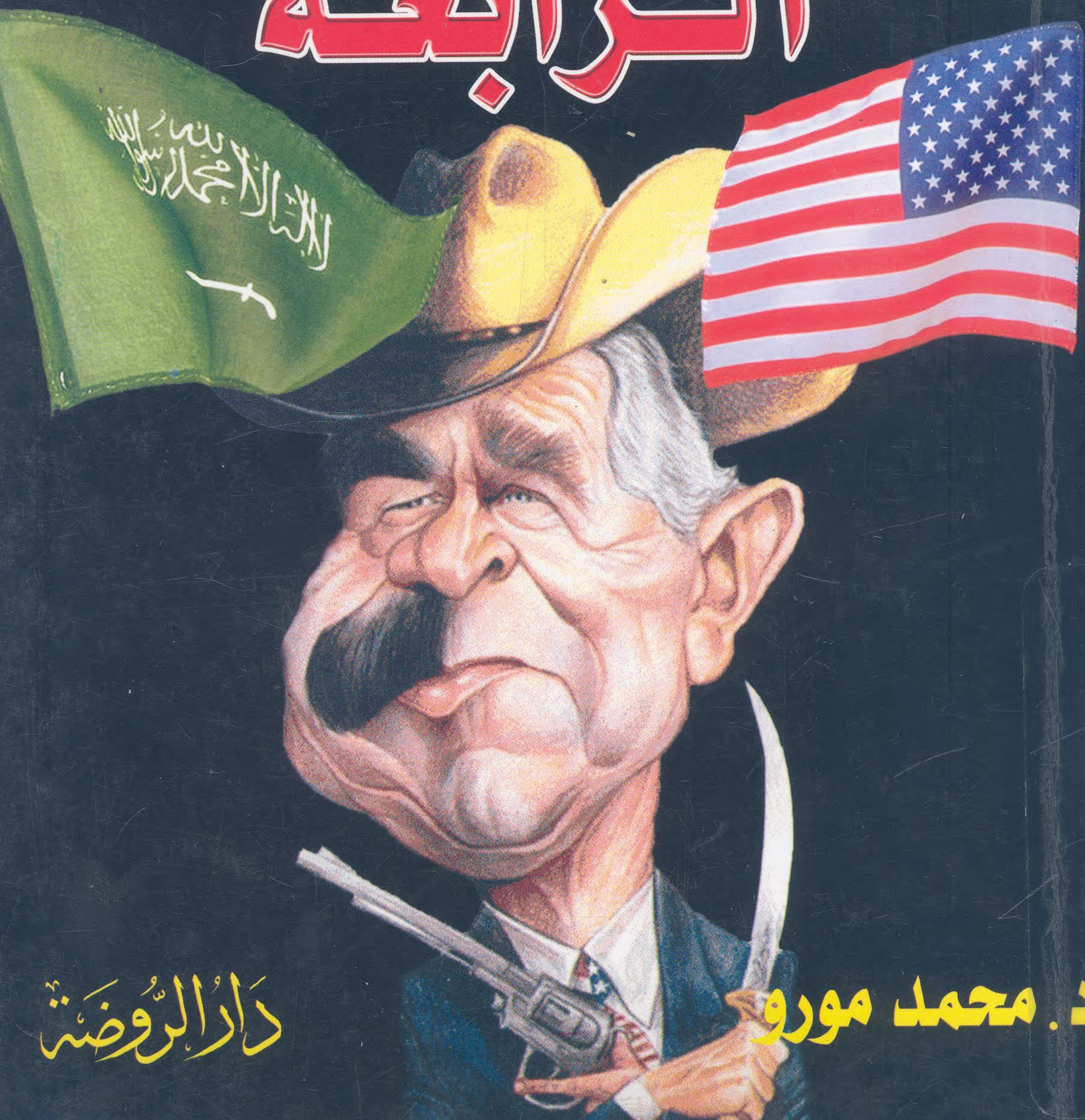
صراع الحضارات
والحرب العالمية الرابعة



د. محمد مورو

دار الروضة

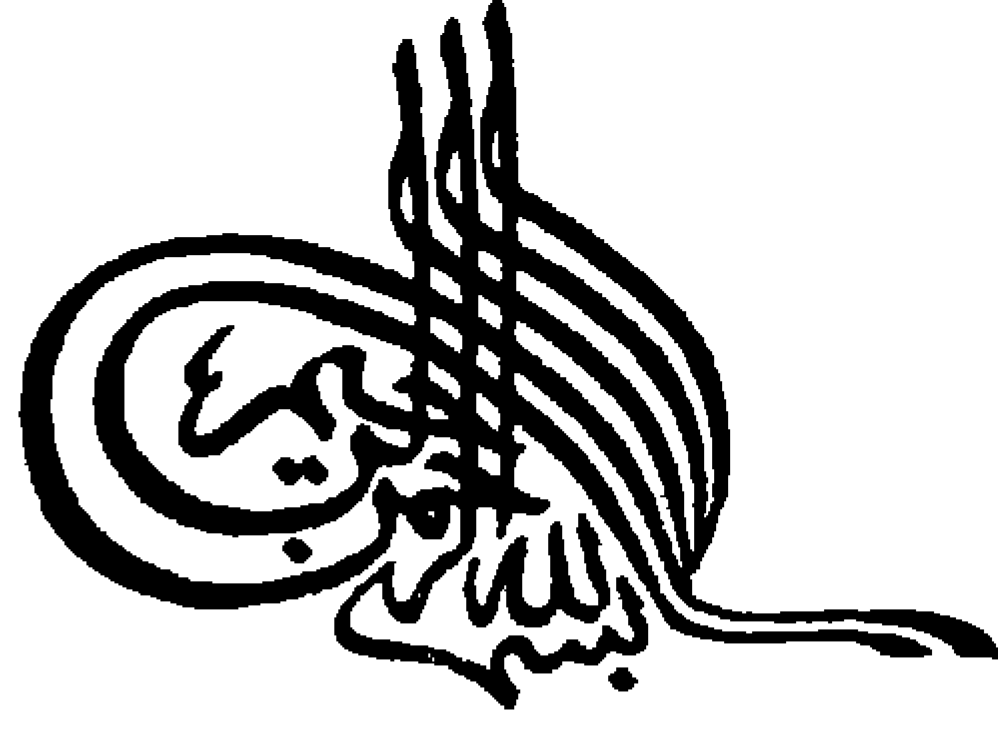
صراع الحضارات
والحرب العالمية الرابعة

المؤلف

د. محمد مورو

دار الروضة

للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـــ ٢٠٠٤ م
حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب
١٦١٢٥ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
I.S.B.N
9775481-64-3

دار الروضة ـ للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
٥٩١٣٤٢٤ ـ ٥٠٦٦٨٨٤ فكس : ٥٩٢٧٣٦٤

الحرب العالمية الرابعة



الحرب العالمية الرابعة

اعتبر البروفيسور "إليوت كوهين" أن الحرب الباردة ضد الشيوعية كانت الحرب العالمية الثالثة، وأن أمريكا والغرب الرأسمالي قد حقق فيها انتصارًا ساحقًا، وهو ما عبر عنه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه المعنون "نصر بلا حرب" وحسب البروفيسور إليوت كوهين أيضًا؛ فإن أمريكا تعتبر نفسها الآن تخوض الحرب العالمية الرابعة ضد العالم الإسلامي تحت اسم مواجهة الإرهاب الإسلامي، وفي الحقيقة فإن الوجدان الغربي الصليبي كان ولا يزال قويًا، وهذا الوجدان الصليبي العميق في تلافيف العقل الغربي وجد الآن من يستغله متمثلا في عصابة اليمين الأمريكي الجديد التي ركبت إدارة جورج بوش الابن واستغلت أحداث ١١ سبتمبر لنشر أفكارها وتنفيذها حول السيطرة على العالم، ومفاهيم الإمبراطورية الأمريكية الجديدة؛ وهي مفاهيم وأفكار سابقة بالطبع على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث إن فكرة اعتبار العالم الإسلامي خطرًا على الحضارة الغربية فكرة سابقة على أحداث ١١ سبتمبر، وهي فكرة تقليدية في الوجدان الغربي أولا، وتصاعدت بقوة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي بمناسبة سقوط الخطر الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفييتي السابق والمنظومة الاشتراكية الدولية، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة تنتقل من الحرب العالمية الثالثة إلى الحرب العالمية الرابعة

الحرب على الإسلام

وقد عبر عن ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" في كتابه (الفرصة السانحة)؛ حيث اعتبر أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية خطيرة وأنه مع التزايد السكاني والإمكانيات المادية سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة، وأن الغرب سوف يتحد مع الاتحاد السوفيتي ليواجه هذا الخطر - كان ذلك قبل تفكك الاتحاد السوفيتي-.

ويقول إدوارد سعيد المفكر الفلسطيني: "إن هناك قوى في أمريكا والغرب نجحت في نشر صورة سلبية عن الإسلام باعتباره خطرًا على الحضارة الغربية"، وقد كتب إدوارد سعيد هذا الكلام عام ١٩٨١ ومن ذلك أن هناك قوى تُهيئ الرأي العام الغربي منذ فترة طويلة لقبول الحرب العالمية الرابعة ضد الإسلام، وعند سقوط الاتحاد السوفيتي السابق بررت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة استمرار وتقوية حلف الناتو بوجود الخطر الإسلامي، وهو نفس ما عبّر عنه رئيس مجلس الوزراء الأوروبي الأسبق" جياني ديميلكس" قائلا لمراسل مجلة النيوزويك الأمريكية عندما سأله عن السبب في بقاء حلف الأطلنطي بعد نهاية المعسكر الشيوعي :"صحيح أن المواجهة مع المعسكر الشيوعي قد انتهت، ولكن هناك مواجهة أخرى لابد أن نستعد لها وهي مواجهة العالم العربي والإسلامي، وعلى أوروبا أن تحلّ مشكلاتها لتتفرغ لهذا العدو الخطير".

والحقيقة التي لا مراء فيها حتى بصرف النظر عن تصريحات

هؤلاء الزعماء والقادة الغربيين وغيرهم وهي كثيرة جدًا بطريقة لا يكاد يعيها الإنسان وربما لا يصدقها من شدة تطرفها وصليبيتها وعنصريتها وغطرستها. الحقيقة التي لا مراء فيها أن الصراع بين الإسلام والغرب امتد في الزمان وفي المكان من غزوة تبوك وحتى العدوان على العراق مرورًا بحروب الأندلس والحروب الصليبية والاستعمار والصهيونية...إلخ، وأن القرآن الكريم قد عبّر عن ذلك وهو الصدق المطلق ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾(البقرة:٢١٧) الخوف من الإسلام والحرب على الإسلام لها أسبابها التاريخية والوجدانية والمصلحية في الوجدان الغربي وإذا كنا ندرك أن عصابة اليمين الأمريكي ودعاة الإمبراطورية الأمريكية الذين يحلمون بسيطرة أمريكا على العالم قد أعدوا الخطط لذلك من قبل عام ١٩٩٧ على الأقل على يد ديك تشيني ودونالد رامسفيلد وبول وولفويتز وريتشارد بيرل وجيمس ولس ووليام كريستول وروبرت كاجان وغيرهم من الذين وقعوا على ما يسمى "الإعلان الإمبراطوري الأمريكي" عام ١٩٩٧؛ فإن هؤلاء أدركوا أن الطريق إلى تلك الإمبراطورية الأمريكيَة لن يكون سهلاً ولا متوقعًا إلا إذا تمت إزاحة العقبة الإسلامية المتمثلة في وجود مفاهيم وأفكار إسلامية حول المقاومة والكفاح والجهاد والدفاع عن المستضعفين وعدم قبول الخضوع وغيرها...، وأنه لابد من إزالة ذلك بالحرب والسلام وبالدعاية والإعلام معًا.

صناعة الحروب

وبالإضـافه الــى دلــك فإن المؤسسة شديدة التأثير في السياسة الامريكــية، وهي المجمع الصناعي العسكري الرأسمالي من مصلحة اخــتراع الحــروب لترويج صناعة السلاح، وكذا فإن التحدي النظري الإسلامي للرأسمالية كفكرة وأيديولوجيه أمر أصبح معروفا في أوساط المفكرين والمنظرين الغربيين؛ حيث من الممكن أن يتحول الإسلام إلى أيديولوجية للفقراء والمستضعفين، ومن الممكن أن يكون الإسلام جذرًا ثقافيًا للثورة العالمية ضد الراسمالية خاصة بعد إفلاس الشيوعية، وهي كلهــا اعتبارات ترشح الإسلام كهدف للحرب العالمية الرابعة وهو ما حدث بالفعل.

وقــد أحدثــت هذه الحرب أشكالا متنوعة، وما زالت تحمل في طــياتها المزيد من الوسائل، وقد تخلت أمريكا والغرب عن أي أخلاق شــكلية فــي إطــار هذه الحرب لأنها من وجهة نظرهم حرب، وفي الحــرب يســقطون كل الاعتبارات الأخلاقية ولم يعد غريبًا أن نسمع أنــباء قــتل الأســرى او اطــلاق الرصــاص على العزل أو تعذيب المعتقليــن.. المهــم ان هــذه الحرب اشتملت على الوسائل العسكريه المباشــرة؛ متمثلة في الحرب من العدوان الصهيوني ومتمثلة من غزو واحــتلال أفغانســتان ثم غزو واحتلال العراق واستخدام كل وأحدث الوســائل العســكرية "هناكة في هذا الصدد، كما اشتملت على محاولة تــرويض الجمهــور الإســلامي بالدعايــات الغازية، ومحاولة تشويه المفاهــيم الإسلامية بما يسمى بتغيير مفاهيم معينة في القرآن الكريم –

وهـو أمر مستحيل- أو ما يسمى بتجديد الخطاب الديني، وهو تخريب وتزييف الخطاب الديني، وما يسمى بتغيير مناهج التعليم لدعم ما يسمى بثقافة (السلام) -الصحيح ثقافة (الاستسلام)-، وتقليص المدارس الدينية الشرعية وحصار المؤسسات التربوية والإعلامية الإسلامية وإنشاء قنوات فضائية وصحف تعمل على ترويج النموذج الأمريكي، والإساءة للمقاومة "العراقية والفلسطينية خصوصًا"؛ بل وصل الأمر إلى حد أن تطلب الإدارة الأمريكية إغلاق المساجد الصغيرة والزوايا بدعوى أنها بؤر لتفريخ التطرف، وأن يتم استخراج تصريح -به تعقيدات كبيرة- لإنشاء أي مسجد جديد، وكذا محاربة العمل الخيري الإسلامي واتهام الجمعيات الخيرية الإسلامية باعتبارها الساق التي تربط الأوراق والثمار والفروع بالجذور؛ اتهمت بالإرهاب، ويجب حلها ومصادرة أموالها والإساءة إلى سمعة القائمين عليها أو حتى اعتقالهم وسجنهم وتلفيق القضايا لهم .

وهي كلها أساليب في حرب عالمية رابعة شاملة ضد الإسلام والمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله!.

أمريكا تطلب العالم لبيت الطاعة

٢

أمريكا تطلب العالم لبيت الطاعة

إما أن تكون مع الولايات المتحدة الأمريكية فأنت إذن فى محور الخير المطلق، أو لا تكون معها – حتى لو أردت أن تكون محايدا – فأنت فى محور الشر المطلق، ولا يوجد طريق ثالث.

والحقيقة أن فى المسألة نوعا من الخطأ المقصود أو غير المقصود، فالمسألة لا علاقة لها بظهور مفاهيم جديدة، أو سيادة اليمين الأمريكي، أو ظهور نزعة عنصرية، ولكنه نوع من التطور الطبيعى له أسبابه الموضوعية في البنية الأمريكية منذ نشأتها وطوال تاريخها وممارستها انتهى لأسباب موضوعية أخرى إلى صعود اليمين الأمريكي، أو ظهور النزعة العنصرية الحالية، والرغبة فى الهيمنة على العالم وتقسيم العالم بهذه الطريقة البدائية، وانتهى إلى نشر القوات الأمريكية فى معظم أنحاء العالم والسعى للمزيد من نشر تلك القوات واحتلال العراق وإطلاق يد الإرهاب الصهيونى بلا حدود فى الموضوع الفلسطيني.

نحن إذن أمام كيان عنصرى وإمبريالى وإمبراطورى منذ اللحظة الأولى، لأنه قام أساسا على فكرة تفوق الرجل الأبيض، وحقه فى السيطرة على أمريكا وإبادة سكانها الأصليين باسم الصليب وباسم

التقدم وباسم رسالة الرجل الأبيض!! وهكذا فالعنصرية جزء لا يتجزأ عن البنية الأمريكية منذ اللحظة الأولى، ثم الاسترقاق الواسع النطاق للسود الأفريقيين واستخدام سواعدهم في بناء الاقتصاد والرخاء الأمريكي، وأمريكا باعتبارها وارثة القيم الغربية منذ انفكت أن أصبحت مثل أوروبا عنصرية ـ استعمارية ، ولأنه كان هناك صراع مستمر، ونوع من توازن القوى، أدى إلى تضامن الدول الأوروبية فيما بينها على النهب والمستعمرات والأسواق، ثم تضامن المنظومتين الرأسمالية والاشتراكية، فإن الفرصة لم تأت أصلا لظهور المفاهيم الإمبراطورية والعنصرية والاستعلائية المباشرة لعدم وجود المناخ الصالح ولا الانفراد لدولة واحدة، اللهم إلا في حالات سبقت ظروفها الموضوعية ففشلت مثل ألمانيا النازية، أو إيطاليا الفاشية.

وعندما انتهى النفوذ الاستعماري لمعظم الدول الأوروبية وسقط هذا النفوذ في الفم الأمريكي، باستخدام وسائل قديمة وجديدة، ثم سقطت المنظومة الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة المنفردة بالقوة في العالم، فهي الأقوى عسكريا، الأغنى اقتصاديا، المهيمنة إعلاميا، ومع التطور الهائل في وسائل القوة والمواصلات كان من الطبيعي أن تتطور السياسات والمفاهيم بحكم الصيرورة الطبيعية إلى المفاهيم الامبراطورية، ومحاولات غزو العالم الذي بدا منذ حرب الخليج الثانية، ثم غزو أفغانستان ثم العراق..وهكذا.فالمسألة لا علاقة لها إذن بصعود نوع من القوى السياسية في أمريكا، بل إن الظروف الموضوعية هي التي أفرزت صعود تلك القوى والسماح لها بممارسة

برنامجها الإمبراطوري، ولأن الولايات المتحدة الأمريكية دولة مؤسسات، فإنه حتى ولو كان الرئيس غير الرئيس والإدارة غير الإدارة..فإن الأمر لم يكن ليختلف كثيرا.ولعل هذا في حد ذاته رد على هؤلاء الذين يقولون: إن أمريكا تغيرت، أو تنكرت لمبادئ المؤسسين والآباء الكبار حين تمارس التمييز ضد العرب والمسلمين، أو تعاملهم بهذه الطريقة في المطارات والموانئ، أو تقول ما تقول تبريرا لعدوانها المستمر على أكثر من دولة في العالم، والصحيح أن أمريكا هي أمريكا كما هي في حقيقتها، وهذه هي الصورة الطبيعية ، المتوقعة لها في إطار تركيبتها مع إدراك الظروف الموضوعية.

وإذا كان ذلك كذلك، فعلينا أن نبحث في التوصيفات المختلفة التي تصف الحالة الأمريكية، وإحدى هذه التوصيفات تقول: إن أمريكا تعيد عصر الإمبراطورية الرومانية، وهذا صحيح إلى حد كبير، فالإمبراطورية الرومانية حققت نوعا من العولمة أو السيادة المطلقة على العالم القديم، لصالح وحساب الرومان فقط، وكان سكان الإمبراطورية ينقسمون إلى سادة رومان وعبيد هم باقي السكان، ولغة التفاهم الوحيدة بين الطَرفين هي الطاعة المطلقة، أو العصا الغليظة، وهو نفس الأمر فيما يخص أمريكا، وكذلك فإن العالم القديم كان يعيش في ظل ما يسمى بالسلام الروماني وهو ما تريد أمريكا أن تفعله، بمعنى دخول الجميع في السلام الأمريكي، وهو طبعا كما كان السلام الروماني نوع من الخضوع الكامل للقوة الأمريكية ونمط الحياة الأمريكية وما تقرره أمريكا من إسقاط هذا النظام أو هذا الرئيس أو تجميد أموال تلك الهيئة أو غزو ذلك البلد، أو تحديد الطيب من

استنزير!!والمشكلة او الفارق النوعي هنا بين الإمبراطورية الرومانية والامبراطورية الأمريكية، أن الأخيرة تمتلك أدوات قوة عسكرية واقتصادية ومواصلاتية أعلى بكثير جدا مما امتلكته الأولي، وهذا يعني أن الخضوع سيكون أكثر قسوة، ولكن في نفس الوقت فإن الإمبراطورية الرومانية كانت تواجه شعوبا وأمما في طور التكوين ولم تكن شخصيتها الحضارية قد تبلورت بعد، وهذا سهل لها مهمة الإخضاع، وهو هنا على العكس، فإن الأمريكان يواجهون أمما وحضارات وثقافات مكتملة التكوين ولن يكون خضوعها سهلا، ولعل هذا بالتحديد ما يجعل الولايات المتحدة تسابق الزمن لضرب الحضارة العربية الإسلامية في القلب واحتلال قلبها بقسوة وكثافة، وكذا محاولات احتواء الصين وروسيا والهند، والسيطرة على البترول للتحكم في الاقتصاد الأوروبي والياباني، أي منع تلك الحضارات والقوى من الاستمرار وتقزيمها أو قتلها إن أمكن!

من المفيد هنا أن نتأمل الورقة الأمريكية أو التقرير الذي أطلق عليه البعض مذهب بوش وهو تعبير حقيقي وواضح عن كل ما سبق، والوثيقة أو الاستراتيجية الأمنية الجديدة أو استراتيجية الحرب الوقائية أو سياسات الردع والاحتواء، والتي أصدرها البيت الأبيض، وكتب مقدمة لها الرئيس بوش بنفسه، وساهم في صياغتها كبار العقول الاستراتيجية الأمريكية، هذه الوثيقة تتضمن عدة مبادئ خطيرة، منها ضرورة العمل الوقائي ضد أي خطر على أمريكا، حقيقي أو محتمل، وأنه لم يعد بوسع الولايات المتحدة الانتظار كما كانت تفعل في السابق، لا نستطيع السماح لاعدائنا بتسديد الضربة الأولى لنا، وأن

ـلـك يعنى أن علينا أن نبادر بضرب أى خطر محتمل حتى لو أبدت الجهات الدوليه الأخرى بما فيها الامم المتحدة معارضتها، وكتب بوش أيضـــا فى مذهبه الجديد من المسلم به وكإجراء دفاعى عن النفس فإن الأمريكييـــن ســـيتخذون إجراءات ضد تلك التهديدات المتنامية قبل أن تســتكمل هذه الجهات بناء قوتها، وأنها لن تتردد فى التصرف منفردة وســوف نمارس حق الدفاع عن النفس باجراء مسبق!! .. ووعد بوش باجـــراء تغييرات هيكلية فى القوات المسلحه الأمريكية ليتسنى لها شن الحـــرب النبيلة المقدسة على الإرهاب والخطر المحتمل فى كل مكان اســيا وأمـــريكا الشماليه والجنوبية وأوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط وهكـــذا فنحـــن أما استراتيجية جديدة سوف تشكل تصرفات الولايات المـــتحدة لعقـــود مقبلة، تقضى بأن أمريكا وحدها تحدد من هو الخطر عليها، الحقيقى أو المحتمل ومن حقها أن تضربه قبل أن يصبح خطرا، وهـــو مـــبدا إمبراطورى خطير يجعل تدخل الولايات المتحده فى أى مكـــان لا يحـــتاج إلا إلى أن تقرر الولايات المتحدة ذلك فقط لا غير، وكذلـــك إصـــرار الوثيقة على أن الولايت المتحدة ستتصرف منفردة حتى لو عارضت ذلك الهيئات والجهات الدولية بما فيها الأمم المتحدة، بمعنى إما أن تصبح الأمم المتحدة بوقا وذيلا، وإما فلا حاجة لها، وهذا معـــناه أن أمـــريكا أعطـــت لنفسها الحق فى تحديد الخطأ والصواب، المشـــروع وغـــير المشـــروع، وأعطت نفسها الحق فى تنفيذ ما تراه ملائمـــا، ومعـــناه أن العالم كله مطلوب لبيت الطاعة الأمريكي.الوثيقة التى جاءت فى ٣٥ صفحة ومقدمة كتبها الرئيس بوش بنفسه أو بمعنى أصح وقعها باسمه، حددت العدو فى أنه الإرهاب ومن يحمى أو يؤوى

أو لا يقاوم الإرهاب، وهذا معناه كل العالم تقريبا، لأن الإرهاب يمكن أن يوجد حسب المفهوم الأمريكي في كل من يعارض سياسة الولايات المتحدة أو يناهض الصهيونية مثلا، والتعريفات بالطبع مطاطة، واليوم على قائمة الإرهاب عشرات المنظمات وآلاف الأشخاص وغدا المزيد وهكـــذا، وهي تهمة مطاطة طبعا تبرر العدوان اليوم مثلا على العراق وسوريا ولبنان والسعودية وإيران وباكستان واليمن والسودان وغيرها، فكل هذه الدول بها إرهابيون، وغدا مصر والجزائر والمغرب وتونس وجنوب أفريقيا وفنزويلا وإندونيسيا وهلم جرا!!

وإذا كان الإرهاب وحده لا يكفي فإن الوثيقة حددت دورا أمريكيا فـــي نشـــر القـــيم الحضارية ــ الحرية وحقوق الإنسان ــ في العالم ومناهضـــة الديكتاتوريات والتمييز الديني وغيرها، وهو نفس مضمون رسالة الرجل الأبيض الذي برر بها الأوروبيون استعمار آسيا وأفريقيا وتنظـيم المذابـــح والتدمير والوحشية والنهب وتقطيع الأوصال، وهو نفـــس الأمـــر المـــتوقع على يد السيد الأمريكي حامل شعلة الحرية، والحرية منه براء.

الوثيقة تشير بوضوح إلينا، كعرب ومسلمين، كأول هدف، ولكنها لا تنســـى الصين ــ التي حسب الوثيقة تهدد جيرانها في آسيا والمحيط الهـــادي من خلال تطوير قدراتها العسكرية المتقدمة، وأنه على أمريكا أن تسعى للحد من ذلك، وهو أمر يمكن القياس عليه، بأنه غير مسموح لأي دولـــة فـــي العـــالم أن تـــبلغ مـــبلغا معينا من القوة العسكرية أو الاقتصادية وإلا ستتعرض لتدخل الولايات المتحدة التي سوف ترى في

ذلك تهديدا للجيران يجب وقفه!!

الوثــيقة بالطــبع، تدعــو إلـــى المزيد من فتح الأسواق، وحرية الــتجارة والانفتاح الثقافي، وهى كلها تعبر عن حقيقة السماح لأمريكا باكــبر قــدر ســر النهب وتدمير البنية الثقافية للحضارات والشعوب الأخري.

الوثــيقة واضـــحة لمن أراد أن يعرف إلى أين يسير العالم وماذا ستفعل أمريكا به اليوم أو غدا أو بعد غد.

فإمـــا أن تكون عبدا لأمريكا وإما أن تستحق الموت أو العقاب.. وعليك أن تختار!!

الأصولية
قلب الحزب الجمهورى
وحرب بوش الصليبية

٣

الأصولية قلب الحزب الجمهورى
وحرب بوش الصليبيـة

عــندما يستخدم الرئيس الأمريكي جورج بوش عبارات من أمثال حــرب صــليبية ـ محور الخير والشر، الحرب التى يؤيدها الرب او غــيرها مــن العــبارات فانه لا يكشف فقط عن عنصريته وسطحيته، ولكــنه يمــارس نوعاً من الدجل والمرأوغة؛ ذلك انه يحاول استخدام المسيحية والعبارات المقتبسة من الإنجيل لتبرير عدوان بربرى وحرب همجية ستودى بحياة عدد هائل من البشر بلا مبرر حقيقي .

الحقــيقة فإن كلمة الصليبية منذ استخدامها على يد قادة الحملات الصــليبية الأولــى ١٠٩٦ ــ ١٢٩٥ جسدت ولا تزال هذا النوع من الدجل، فالصــليبية هي المسيحية الغربية المزيفة، والمسيحية الغربية والشــرقية وكل مسيحية حقيقية براء منها، وهكذا فنحن أمام مصطلح يســيء إلــى المســيحية ويجسد روح العنصرية الغربية وهو محمل بايمــاءات تاريخــية ومعاصــرة ســيئة بالضرورة والتعامل مع هذه الصــليبية الجديدة، لا يكون بتجاهل المصطلح كما يفعل البعض والقفز علــيه ولكن بإدراكه أولاً ووزنه ثانيا ومواجهته ثالثا وفى الحقيقة فإن التبرير المسيحى ــ والصحيح الصليبى ــ الذى يستخدمه جورج بوش قد اصــبح حقيقة لا ينكرها أحد، ورصدتها أبحاث ودراسات وكتب

ومجـــلات وصحف في أمريكا وخارجها، وإذا كانت مجلة دير شبيجل الألمانـــية قد استخدمت مصطلح أو عبارة حرب جورج بوش الصليبية فإن مجلة نيوزويك الأمريكية نشرت موضوعا عن نفس القضية تحت عــنوان بــوش والرب وقد قام الكاتب كارين يوريش بتحليل مضمون عــدد مــن خطــب الرئيس بوش وتوقف أمام الجمل التي تتحدث عن الإيمان المسيحي الذي يغطي به جورج بوش جرائمه، وهي تكشف في نفــس الوقت عن الخلفية العقائدية ــ الحقيقية أو المزيفة ــ التي تشكل البنــيان التحــتي لــثقافة وأخلاق وتصورات جورج بوش والتي تؤثر بصورة أو أخرى في سلوكه السياسي. ففي خطاب القسم الذي ألقاه في ٢٠٠١/١/٢١، قال بوش بوسع ملاك أن يركب الزوبعة وان يوجه هذه العاصفة وهي جملة مقتبسة من كتاب أيوب وحزقيال، وفي خطابه إلى الكونغــرس ٢٠٠١/٩/٢٠ قال لطالما كانت الحرية والخوف والعدالة والوحشية في حرب ونعلم أن الرب ليس على الحياد بينها ، وفي حفل تخــريج دفعــة عســكرية في ٢٠٠١/٦/١ في أكاديمية وست بيونت العسكرية قال نحن في صراع بين الخير والشر وستسمي أمريكا الشر باســمه ، وقــد اســتنتج كاتب المقال كارين يوريش من ذلك الـ أن تلمــيحات بــوش عن الخير والشر التي تزداد باستمرار هو نوع من التأثر بما ورد في الكتب المقدسة.

وفــي خطاب الأمة ٢٠٠٣/١/٢٩ قال جورج بوش الحرية التي نناضل من اجلها ليست هدية أمريكا إلى العالم، بل هي هدية الرب إلى البشــرية وهــي مــأخوذة مــن إنجيل يوحنا، وفي تعليقه على انفجار المركــبة الفضــائية كولومبــيا ٢٠٠٣/٢/١ قال لم يعد طاقم المركبة

كولومبيــا إلــى الأرض بســلام، ولكن بوسعنا أن نحمد الله على انهم رحلوا جميعا بسلام إلى بيتهم .

وهــى عــبارة تسـتخدم فــى الجنازات المسيحية.وترصد مجلة نيوزويك كذلك مداومة الرئيس بوش على قراءة عظات إنجيلية قصيرة فجر كل يوم، أى انه يبدأ بها يومه المبكر، ويحرص على النوم مبكراً لتحقــيق هــده العــادة اليومية، والعظات الإنجيلية مكتوبة بقلم مبشر مســيحى عســكري، وهــو أوزوالــد شــيمبرز الذى صاحب الجنود الاســتراليين والنيوزيلنديــن الذيــن ذهــبوا إلى فلسطين عام ١٩١٧ لانــتزاعها مــن يد الأتراك، وهو ما يريد أن يفعله بوش بالعراق مثلا وفــيما يســتمر الحوار والجدال فى أمريكا والعالم والأمم المتحدة عن العــدوان الأمريكى على العراق أن الإرهابيين يكرهون حقيقة أن نعبد الــرب العظــيم، بالطريقة التى نراها مناسبة ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة إلى إيصال هدية الحرية التى منحها الرب لكل إنسان علــى وجه المعمورة ، وقال أيضا انه خلف كل حياة كل تا بخ يكمن هــدف حددتــه يد اله عادل وأمين وان صح ذلك فلا مجال لأن تفشل أمــريكا ، ويــرى جورج بوش انه لم يكن ليصبح رئيسا لأمريكا لولا الرب .

ويصــف أحــد الدين يحضرون التقاء بوش بالمرشدين الروحيين وهــو أمر يتكرر كثيراً داخل البيت الأبيض ــ تشارلز ستروبل ــ لا أتصــور المســيح يدعو حشداً يهتف له إلى الحرب كماى فعل الرئيس بوش .

وكانت علاقه جورج بوش الابن برجال الدين المسيحيين البروتستانت من هؤلاء الذين يتسمون بالتشدد ويعكسون تعصبا ضد الأديان الأخرى واهتماما بالنبوءات التى جاءت فى التوراة العهد القديم عن أحداث نهاية العالم مما يسمي بالأصولية المسيحية قد توطدت خلال مشاركته فى حملة والده الرئاسية عام ١٩٨٨، وقد كان هؤلاء يشكلون فى ذلك الوقت الحركة الإنجيلية المتصاعدة والمتدخلة فى الشئون السياسية، ثم اصبحوا فيما بعد قلب الحزب الجمهورى الذين اصبحوا الأكثر دعما لجورج بوش الابن، وقد لعب المبشر الواعظ بيلى جراهام دورا هاما فى انطلاق جورج بوش، وحينما استعد جورج بوش لترشيح نفسه عام ١٩٩٩ جمع جورج بوش كبار القسأوسة فى قصره لينال بركتهم وأخبرهم ان الرب دعاه لينشد منصبا ارفع، وعندما وصل الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى البيت الأبيض أصبحت الأجواء المهيمنة على مقر الرئاسة تتسم بجو من الصلاة، وصحيح ان وجود جماعة للصلاة فى البيت الأبيض أتمر عادى تم فى ظل كل الحكومات على أساس أن هناك تأثيرا كبيرا للدين فى الحياة والسياسة الأمريكية لدرجة إن الكاتب الإنجليزى كين تشيستيرتون قد وصف أمريكا بأنها أمة بروح كنيسة، إلا أن المسألة تفاقمت فى ظل جورج بوش الابن بصورة مذهلة، مجموعات تلأوة الكتاب المقدس باتت الآن فى كل زوايا البيت الأبيض، وزوجة رئيس الموظفين فى البيت الأبيض اندروكارد قسة فى الكنيسة المعمدانية، أما والد مستشارة الأمن القومى كونداليزا رايس فكان مبشرا فى الاباما.

*****

وفـــي الحقـــيقة فـــان وجـود وقوة اليمين المسيحي الأصولي في أمـــريكا ليس أمرا جديدا الأصولية الإنجيلية ، ولكن الجديد في المسألة هـــو أن تلك الأصولية أصبحت هي قلب الحزب الجمهوري، وفي قلب مؤسســـة الحكـــم وأثـــرت بالتالي في المفاهيم والأسلوب، وصحيح أن أمـــريكا تحكمهـــا مؤسســـات تعـــبر في النهاية عن المجمع الصناعي العســكري إلا أن هـــذا المجمـــع يســـتخدم الآن منطق التبرير الديني الصـــليبية الجديدة ويستخدم بالتالي نفوذ الأصولية الإنجيلية في تبرير حـــروبه وعدوانه والتبشير بمفاهيم الإمبراطورية العنصرية الأمريكية، وترصـــد المؤلفـــة الأمريكية جريس هالسل في كتابيها اللذين ترجمهما إلـــى العربية الأستاذ محمد السماك بعنواني النبوءة والسياسة ثم يد الله قصـــة صـــعود هـــذا التـــيار وأثره على الحياة الأمريكية والسياسات الخارجـــية، ويفســـر الكـــتابان كثيرا من المواقف الأمريكية الخارجية خصوصا ما يتصل منها بالشرق الأوسط والصراع العربي الصهيوني، وتـــرى المؤلفة ان للتفسير البروتستانتي للعهد القديم عن نبوءات نهاية العـــالم أثـــرا كبـــيرا علـــى الموقف الأمريكي، نظرا لتأثر المسئولين الأمريكييـــن بـــتلك الرؤى والنبوءات، فمساعدة إسرائيل واجب ديني، وصـــحيح إن هناك عنصرية أمريكية ومسيحية تكره اليهود، ولكن ذلك يعـــبر عـــن نفسه بتجميعهم في فلسطين، أي التخلص منهم، وفي نفس الوقـــت فـــإن قـــيام إســـرائيل مقدمة ضرورية لتحقيق نبوءة معركة هـــرمجدون، وفي الإطار نفسه يأتي العدوان على العراق، وتضم تلك الحركة الآن حوالي ربع الراشدين من الشعب الأمريكي تقريبا على حد تقديـــر ولـــيم مارتـــن أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة رايز ويرى

داميان طومبسون مؤلف كتاب نهاية الوقت ــ العقيدة والخوف فى ظل الألفــية إن نسبة نمو المسيحية الإنجيلية فى أمريكا تزيد على أى اتجاه ديــنى آخر فى العالم ، ويقدر العالم الأمريكى البروفيسور جون جرين من جامعة اكرون إن ٦٢ مليون أمريكى يعكسون إيمانا بتلك الأصولية الإنجيلية التى تريد دفع العالم إلى الحرب فى معركة فاصلة يموت فيها ٣ مليارات من البشر ويموت فيها ٨ ملايين يهودى وهذه العقيدة ذاتها كانــت موجــودة لــدى رؤساء أمريكيين قبل بوش مثل جيمى كارتر ورونــالد ريجان، فالرئيس جيمى كارتر ديمقراطى كان يرى أن إقامة إســرائيل هــو تحقــيق للنبوءة التوراتية والتنفيذ الجوهرى لها، وكان الرئيس ريجان من اكبر المؤمنين بنبوءات التوراة لدرجة انه كان يرى انــه سيشــهد بنفسه معركة هرمجدون وقد ظل ريجان رئيسا لأمريكا ثمــانى سنوات وكان الأكثر شعبية بين الرؤساء منذ فترة طويلة. وهذا اليمين الدينى الأمريكى عموما والبروتستانتى خصوصا يرى أن هناك واجبا دينيا على كل مسيحى أن يدعم إسرائيل، وانه إذا فشلنا فى حماية إسرائيل فلن نبقى مهمين فى نظر الله .

******

إذا كــان هــذا التفسير الخاطئ والعنصرى والدموى للعهد القديم يقــود خطى قطاع كبير وفاعل من الأمريكيين ــ بمن فيهم رؤساء ــ، ويقــود إلــى حــد كبير خطى الرئيس بوش ويقدم له التفسير والتبرير الــلازم للاســتمرار فــى العدوان فإن من البديهى ان ذلك لا يتفق مع تعالــيم المسيح ولا يتفق مع أى دين أو أخلاق، لأن تصوير الأمر بهذه الصــورة يعــنى أن المســيح جنرال دموى بخمسة نجوم، وفى رأى

الدكــتور جــيمس. ر. جــراهام وهو مربٍ ولاهوتي إن نظام التفسير الأصــولي الإنجــيلي البروتستانتي هو نظام جديد لتفسير النبوءات لا يــزيد عمــره علــى ١٥٠ عاما وهذا يعني ان كنيسة المسيح لم تأخذ بوجهــة الــنظر هذه طوال ١٨٥٠ سنة، وهذا النظام التفسيري يقضي علــى وحــدة الكــتاب المقدس ويظهر الله بصورة غير عطوفة على الإنســانية ولا محــبة لهــا، وأن هــذا ينتهك معنى المسيحية، ويحول المســيحيين إلى رهائن لما يفعله يهود اليوم أو ما لا يفعلون، وان هذا التفســير يضع اسرائيل فوق الكنيسة وفوق تعاليم المسيح ذاته وأن هذا التفسير لا يمت بصلة إلى الكتاب المقدس

حـــــرب
على الجمعيات الخيرية..
أم حرب على الإسلام ؟!

٤

حرب على الجمعيات الخيرية..
أم حرب على الإسلام ؟!

المتتبع للإجراءات الأمريكية، ومن ثم الغربية، وما يفرض منها على بعض الحكومات العربية والإسلامية أن تتخذه حيال الجمعيات الخيرية الإسلامية؛ يكتشف للوهلة الأولى أن المسألة عميقة جدًا واستراتيجية، وليست مجرد رد فعل طارئ سيأخذ مداه ثم يهدأ ويسكن، وأن الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هي حرب عالمية على الإسلام دينًا وحضارةً وقيمًا وسلوكًا وجهادًا.

وهل من المفيد هنا أن ننقل عن فضيلة الشيخ (صالح الحصين) الذي نقله بدوره عن واحد من الباحثين الذي وضع فرضية مبدئية وأدخلها في حاسوبه الشخصي، وظل يرصد الأحداث وتصريحات السياسيين التي لها صلة بهذه الفرضية، وكان يدهش كيف أن الوقائع ظلت تؤيد فرضيته؛ لقد بنى هذه الفرضية في شكل هرم كتب على ثلثه الأعلى الجهاد، وعلى ثلثه الأوسط المؤسسات الخيرية والمؤسسات المالية، وعلى قاعدته القيم والمبادئ، وقد افترض أن الغارة على الإسلام في صراع الحضارات سوف يكون هدفها الأول الجهاد، وهدفها الأخير القيم والمبادئ، مرورًا بالمؤسسات الخيرية والمالية.وهل تلك الفرضية التي افترضها هذا الباحث من الدقة والذكاء

بحيث تلخص المسألة كلها: حقيقتها، أهدافها، آلياتها؟وقبل أن نسهب في شرح ذلك يجب أن نضع بعض الملاحظات حول الحرب الأمريكية والغربية على الجمعيات الخيرية..

- فمن ناحية؛ فإن خطاب العولمة المزعوم وخطاب قادة الفكر والسياسيين في الغرب؛ بل حتى مشروعات ومبادرات الإصلاح المزعوم التي يتقدم بها الرؤساء والباحثون، ومراكز الأبحاث ودوائر وزارات الخارجية...إلخ، وآخرها مبادرة الشرق الأوسط الكبير ؛ كلها أكدت على ضرورة دعم ما يسمى بالمجتمع المدني -غير الحكومي - باعتباره إحدى ركائز الديمقراطية وأحد أهم بنود الأجندة العالمية حاليًا، وبديهي أن من يدعم المجتمع المدني لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يمنع هو هذا المجتمع المدني أو يصادر جمعيات خيرية هي إحدى تجليات هذا المجتمع المدني المزعوم، أو يدعو الحكومات العربية والإسلامية إلى بسط سيطرتها على تلك الجمعيات.. إنها مناقضة صارخة، وازدواج معايير واضح، وهذا يكشف حقيقة الأجندة الأمريكية الغربية بخصوص هذا المجتمع المدني المزعوم؛ فالمطلوب دعم الجمعيات والهيئات والمؤسسات غير الحكومية التي تعمل وفق الأجندة الغربية، والتي تتلقى تمويلاً من الجهات الغربية، أي التي تعمل في إطار خدمة المشروع (الأمريكي- الصهيوني) بوعي أو بدون وعي؛ أما من يعمل مستقلاً في التمويل، مستقلاً في الأهداف، غير منضبط تمامًا على نغمة الأجندة الأمريكية فهو مرفوض ومتهم بالإرهاب، وسوف تصدر القرارات بمنعه ومصادرته وهكذا فإن الحرب الأمريكية الغربية على الجمعيات الأهلية الخيرية الإسلامية

كشفت ضمن ما كشفت عن نفاق أمريكي وغربي واضح.- ليس المطلوب إذا جمعيات تساعد الفقراء، أو تعين المحتاجين أو تحفر الأبار في إفريقيا وآسيا، أو تساعد ضحايا العدوان الصهيوني على الفلسطينيين، أو تبني المساجد أو ترعى الأيتام؛ بل المطلوب جمعيات تهدم القيم عن طريق تحريض المرأة على الخروج على تعاليم الإسلام، أو التمهيد للقبول بإسرائيل بدعوى القبول بالآخر، أو الترويج للقيم الأمريكية بدعوى أنها قيم عالمية..

خدمة المشروع الأمريكي

وهكذا فإن أول أهداف الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هو منع امتداد المجتمع الأصلي الصحيح وإزاحته ليحل محله المجتمع الأهلي المزيف والعميل.هذا بالطبع لخدمة المشروع الأمريكي، وهو أيضًا إحساس داخلي عميق بخطورة المجتمع الأهلي الإسلامي ممثلا في الجمعيات الخيرية، لأن آلية العدوان الأمريكي قادرة على السيطرة على كل ما هو حكومي ومعروف ومبرمج، أما العمل الأهلي فهو الأكثر صعوبة والأقدر على الاستمرار وخلق حالة من المقاومة أو الصمود أو الرفض، وتحقيق نوع من المناعة للمجتمعات..

إن استخدام عنوان الإرهاب كذريعة للحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية أمر لم يكن لينطلي على أحد؛ فالكلمة نفسها تستخدم بمناسبة وبدون مناسبة لوصف كل مناهض لأمريكا وإسرائيل ؛ بل أصبحت الكلمة والتهمة تستخدم من قبل كل من يريد استعداء أمريكا وإسرائيل والغرب، أو إرهاب الآخرين وتخويفهم وإسكاتهم على

جماعـــة أو دولة أو فرد، وبديهي فأن الحرب على الإرهاب لا علاقة لهـــا بـــالعمل الخيري أساسًا، ويمكن حساب فرد أو مجموعة على ما قامت به بافتراض هذا صحيحًا دون المساس بالفكرة أو العمل الخيري عمومًـــا. على كل حال؛ فإن ما لاحظناه حول استخدام كلمة الإرهاب بطريقة فجة وممجوجة ومزدوجة المعايير ومنافقة هو في حد ذاته دليل على تهافت التهمة الموجهة للجمعيات الخيرية الإسلامية.

- يـــربط البعض عادة بين الحرب على الجمعيات الإسلامية أو الإســـلام أو المظاهـــر الإسلامية وبين أحداث ١١سبتمبر٢٠٠١، وهو ربـــط غير صحيح من وجهة نظرنا؛ فلا علاقة سببية بين الاثنين؛ بل يمكن القول إن الحادث قد استخدم كذريعة أو تبرير أو مناسبة لتصعيد الهجـــوم علـــى المظاهر الإسلامية، والحقيقة أن هناك وجدان صليبي غربي معروف، وهو يمثل الظاهرة الرئيسة في التاريخ، وحتى الان قد تخفـــت أحـــيانًا بســـبب وجود تناقضات ثانوية (كالتناقض السابق بين الاتحـــاد الســـوفييتي وأمـــريكا)، ولكن ما أن يتم حل هذه التناقضات الـــثانوية حتى يبرز التناقض الأساسي والجوهري، وهكذا فإن الحرب علـــى الإسلام والظواهر الإسلامية لم تتوقف منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، وهذه طبيعة الصراع الإسلامي الشيطاني، ولكن المناسبة الأكبر لتســـارع وتـــيرة هـــذه الحـــرب هو سقوط الاتحاد السوفييتي السابق للمنظومة الشيوعية وليس أحداث ١١سبتمبر.

- إن مـــن المعـــروف فـــي قواعد مناهضة أية فكرة أو حركة ضـــرورة ضرب حلقاتها الوسيطة باعتبارها الرابط بين الجذر والثمار

المرجوة؛ لأن من المستحيل عمليًا اقتلاع الجذور، أو أن ذلك صعب جدًا.

أما قطع الساق فهو الطريق الأسهل لمنع ظهور الثمار، وهكذا ووفقا لفرضية الباحث المذكور سابقًا من أن الجمعيات الخيرية هي الحلقة الوسيطة بين القيمة والجهاد؛ فإن ضرب الإسلام يقتضي ضرب تلك الحلقة الوسيطة.

- وهل من المفيد هنا انطلاقا من النقطة السابقة أن نبحث عن الأسباب العامة والخاصة الاستراتيجية والتكتيكية لضرب الجمعيات الخيرية الإسلامية، فهي تأتي في الصراع الحضاري الممتد في التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؛ أي في إطار الصراع بين فكرة التوحيد والعدل والحرية واللاعنصرية والتسامح، وبين العنف والقهر والنهب والوثنية والعنصرية والظلم وازدواج المعايير، وهي تأتي في محاولة فرض قبول الرأسمالية على العالم، وذلك أنه بعد انهيار الشيوعية وثبوت فشلها نظريًا وفلسفيًا وتطبيقيًّا؛ فإن المنظومة الإسلامية هي الوحيدة المرشحة لمناهضة الرأسمالية؛ ليس بالنسبة للمسلمين فقط؛ بل بالنسبة لكل سكان العالم المتضررين من الرأسمالية، لأن الإسلام يمتلك خطابًا عالميًّا، ويمتلك خطابًا منحازًا للمستضعفين والفقراء، وينصفهم ولا يظلمهم، ويمتلك خطابًا غير عنصري، وهو بهذه المثالية يمكن أن يكون أيديولوجية للمستضعفين في العالم، والراغبين في مناهضة العولمة والرأسمالية، بالإضافة إلى كونه دينًا، ومنظومة قيمية للمسلمين تحول دون خضوعهم أو قبولهم

بالانصياع للقيمة الغربية والأمريكية، وهكذا فهو الأساس الصحيح لظهور الرفض والمقاومة، وعدم الانصياع وتعطيل مشروع الهيمنة (الأمريكي- الصهيوني) على العالم، وبالتالي فإن ضرب وتصفية الجمعيات الخيرية الإسلامية هو نوع من الحرب الاستباقية ضد الدور الإسلامي المتوقع؛ وهو نوع من الحرب الدعائية الإعلامية غير المباشرة، فبدلاً من أن تقوم تلك الجمعيات بتزويد المجتمعات الإسلامية بقدر أكبر من القدرة على الاستمرار والصمود، ونشر القيمة الإسلامية، وبدلا من أن يتم الحديث عن الإسلام باعتباره يرعى اليتيم، ويساعد الفقير، ويبقي بئر الماء، ويساعد على التعليم؛ يتم الحديث عنه فقط-- زوراً- بلفظ الإرهاب والعنف والبربرية؛ وبالتالي تنجح الحملة العالمية الأمريكية الصهيونية في تشويه صورة الإسلام وحصاره.

في مواجهة التنصير والتغريب

بالإضافة إلى ذلك فإن العمل الخيري الإسلامي هو نوع من المانع الضروري لشلّ قدرة جماعات التنصير والتغريب عن العمل، والتي تخدع الناس وتحاول شراء وجدانهم بالمساعدات، ومن المعروف أن هناك علاقة جدلية بين التنصير والاستعمار فكلاهما يخدم الآخر، وكل منهما يؤدي إلى الآخر، وبالتالي فإن إزاحة العوائق من أمام المنصّرين هدف أمريكي استعماري صهيوني مباشر واستراتيجي، وفي هذا الصدد؛ فإن الحرب على الجمعيات الخيرية يصبح ضروريًا لنجاح مخطط التنصير .

بالطبع فإن العمل الخير الإسلامي به أخطاء ولكن الأخطاء يمكن

إدراكهـا ومعرفـتها وحلهـا ولن يخلو عمل بشري من الأخطاء قط، ونـزعم أن العمـل الخيري الإسلامي هو الأفضل من حيث شفافيته، ولكـن الأخطـاء فيه بالنسبة للجمعيات الخيرية اليهودية أو المسيحية، ورغـم كـل الفضـائح والجـرائم التي ارتكبتها الجمعيات المسيحية واليهودية؛ فإن أحدًا لم يطالب بإلغائها أو تصفيتها وهكذا فإن تهافت مـبررات الحـرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية بينت أن المسألة حـرب على الإسلام تأخذ أشكالا متعددة؛ منها الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية! .

أمريكـــــــا
إستراتيجية واحدة
وتكتيك مختلف



أمريكا إستراتيجية واحدة وتكتيك مختلف

بالطبع فإن المجتمع الأمريكي ليس مجتمعًا مصمتًا، ولكن الحساب السياسي والاستراتيجي الصحيح يكون على أساس محصلة هذا المجتمع، واتجاه هذه المحصلة، والمجرى الرئيس لسياسة ذلك المجتمع في لحظة ما ، وليس البناء على هوامش هذا المجتمع يمينًا أو يسارًا مهما كان حجم هذا الهامش؛ لأننا نواجه في النهاية ممارسات القطاع صاحب القرار ، وتقع على رؤوسنا هذه الممارسات حتى ولو كان حجم الانتقاد لها في الداخل الأمريكي عاليًا جدًّا أو عريضًا جدًّا، ولا ننسى أننا أمام مجتمع فيه مؤسسات وفيه قوى حاكمة هي المجمع الصناعي العسكري، وهذه المؤسسات هي التي تعبر عن ذلك المجمع الصناعي العسكري الحاكم، وبالتالي فالقرارات الاستراتيجية في حقبة ما سوف تصدر سواء كان يحكم أمريكا الجمهوريون أم الديمقراطيون؛ فهذا بالطبع لا ينفي وجود خلافات وتناقضات – ثانوية – بين الجمهوريين والديمقراطيين، أو بين قوى المجتمع الأمريكي، ولا ينفي إمكانية الاستفادة منها، وبالتالي فمن الصحيح والصحي رصد تلك التناقضات وفهمها شريطة أن ندرك أولا وأخيرًا أنها تناقضات ثانوية.

خلاف في التكتيك

فالحــرب علـــى العــراق ، ومفاهيم الإمبراطورية الأمريكية ، واليميــن المســيحي الأصولي ، وجورج بوش وإدارته ، والدعم غير المحــدود لإسرائيل ليست اختراعًا من الجمهوريين؛ فربما يكون هناك خلاف حول الطريقة والتكتيك، ولكن ليس على الاستراتيجية والأهداف النهائـية؛ بـل ربمـا كـان الديمقراطـيون أشد حماسًا لإسرائيل من الجمهوريين، ربما كانوا متحمسين لإسرائيل ووجودها واستمرارها مع إدراك أن مصـلحة إسـرائيل وأمريكا تقتضي عدم مسايرة السياسات الشارونية، ليس كراهية في شارون أو حبًا في العرب؛ ولكن لأن تلك السياسة سوف تستفز المجتمعات العربية والإسلامية، ويكون رد فعلها علـى المسـتوى الاستراتيجي والمدى البعيد أخطر من رد فعلها على سياسـات أقـل مدة وأكثر حدة ، أو أن الفرق هو بين أسلوب الثعالب وأسـلوب الذئـاب لـيس إلا، والأمر نفسه يتضمن ويشمل السياسات الأمريكية الأخرى المتصلة بالتواجد في المنطقة وطريقة إدارتها، وفي كـل الأحوال فإن تفصيل هذا الأسلوب أو ذاك يرتبط أولا وأخيرًا في حالـة المقاومـة وقدراتهـا ومـدى تجذرهـا فـي الواقع العربي ، فالديمقراطيون مثلا يهاجمون سياسة الرئيس بوش وإدارته في العراق ، والسيناتور جون كيري المرشح الديمقراطي للرئاسة طالب بمحاسبة الرئـيس الأمريكي جورج بوش ونائبه ديك تشيني على تضليل الرأي العام لادعائهما امتلاك العراق أسلحة دمار شامل ، وقال كيري لشبكة (سي.بي.إس) التليفزيونية الأمريكية إنه لا بد من تشكيل لجان استماع

تابعة للكونجرس لمعرفة الحقيقة كاملة، وأنه لا يعتقد أن السبب في ذلك ضعف المعلومات المخابراتية. وشبه كيري حرب العراق بالحرب التي خاضتها أمريكا في فيتنام. وقال: إن الشباب يموت للمبررات الخطأ، وإن بوش سارع بالدخول في حرب العراق دون خطة للفوز !!..نفس الكلام أو قريب منه يردده باقي الديمقراطيين وقطاعات أخرى من الشعب الأمريكي والمثقفين الأمريكيين فالجنرال كلارك وهو أحد زعماء الديمقراطيين قال لشبكة " إن . بي . سي": إن مسألة العراق تتخطى دور المخابرات الأمريكية، وأنه يعتقد أن الإدارة الحالية ضغطت على أجهزة المخابرات لتصل إلى النتائج التي تحتاج إليها.

إن جوزيف ليبرمان المرشح للرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠ والذي خسر أمام جورج بوش بسبب التلاعب المعروف في حساب الأصوات وفقا للائحة الأمريكية وطريقة حساب أصوات المجمع الانتخابي ألقى باللوم على المخابرات الأمريكية...

قوانا الذاتية أهم

فالانتقاد هنا لا يصل إلى درجة رفض الحرب على العراق أصلا، ولكن على أنه لم تكن هناك خطة للحرب، أو أن المبررات كانت ملفقة وهذا كله أيضا لم يكن ليحدث أو يحقق أي تفاعل لدى هؤلاء لولا الخسائر الباهظة التي تخسرها القوات الأمريكية في العراق بسبب المقاومة العراقية الباسلة، أي أن المسألة ليست خلافا على المبدأ، بل خوفا من الوصول إلى كارثة بسبب تلك الخسائر وضياع

هيبة الولايات المتحدة، وهكذا فالعامل الأهم هنا هو قوانا الذاتية والمقاومة العراقية تحديدًا، ونلاحظ أن هؤلاء الذين ينتقدون إدارة بوش بسبب عدم قدرته على القضاء على المقاومة ويصلون في نقدهم إلى حد المطالبة بمحاكمة بوش ونائبه هم أنفسهم الأكثر حماسًا للمشروع الصهيوني، وبعضهم صهاينة "جوزيف ليبرمان"، وأن ضميرهم لم يلفظ المجازر والوحشية التي يتعرض لها الفلسطينيون !!

وبالطبع هناك قوى وشخصيات ومفكرون وفنانون ومثقفون يعترضون علي السياسة الأمريكية بشكل عام، أمثال ناعوم تشومسكي، ولكن هؤلاء لا تأثير لهم على القرار الأمريكي، وهم على هامش الهامش بالنسبة لمؤسسة الحكم في أمريكا.

أيًا كان من يحكم أمريكا؛ فإن الاستراتيجية واحدة، والتكتيك مختلف، ويجب أن ندرك هذا ونفهمه؛ وبالإضافة إلى ذلك فإن موضوع العراق وفلسطين ليس وحده هو الذي يحسم الحركة الانتخابية؛ فهناك عوامل شتى و مختلفة من الإعلام والمال وقضايا الداخل الأمريكي، وليست السياسة الخارجية فقط هي التي تؤثر تأثيرًا كبيرًا في ذلك، وكلها تحت سيطرة المجمع الصناعي العسكري الحاكم في واشنطن. ويجب أن ندرك أيضًا أن جون كيري نفسه كان قد أيد إعطاء بوش تفويضًا بالحرب في العراق عندما عرض الموضوع على الكونجرس، وأنه تراجع عن ذلك ليس من حيث المبدأ ولكن لزيادة خسارة القوات الأمريكية في العراق بسبب المقاومة العراقية المتصاعدة. أما المرشح الديمقراطي هوارد دين والذي هو الأعلى

صوتا والاكثر معارضة للتورط الأمريكي في العراق؛ فإنه تعرض لهجوم شديد من الدوائر الأمريكية التي اتهمته بعدم الوطنية، وقد أثر ذلك على شعبيته بما يدل على أن معارضة الحرب على العراق والتورط فيها من حيث المبدأ لا يزال غير مقبول شعبيًّا ، أو أن دوائر النفوذ المؤثرة في أمريكا قادرة على إضعاف من تريد وقتما تريد بسبب امتلاكها للمال والإعلام.

وهكذا فإن المراهنة على تغير الموقف الأمريكي من العدوان بسبب الإطاحة بجورج بوش مثلاً أو وصول الديمقراطيين إلى السلطة هو نوع من الوهم اللذيذ؛ فالمسألة أولاً وأخيرًا مرتبطة بالمقاومة، وهل تستطيع الولايات المتحدة تحمل الخسائر أم لا؟

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن معظم قادة الحزب الديمقراطي والذين دخلوا سباق الانتخابات التمهيدية كانوا و لا يزالون يؤيدون الحرب على العراق واحتلالها مثل جوزيف ليبرمان، والسيناتور إدواردز و غيرهما.

المراهنة الخطأ

حوار الأفكار والآراء في المجتمع الأمريكي والذي قلنا إنه غير مصمت هو أمر طبيعي وبديهي، ولكن يجب ألا يقودنا هذا إلى المراهنة على الظواهر الخطأ؛ فالحساب يكون على المحصلة واتجاه تلك المحصلة وعلى المجرى الرئيس وعلى توجهات المؤسسة الحاكمة

الحقيقية ...، ولا شك أن السياسة الأمريكية الحالية هي محصلة ونتيجة تطور الآلة الرأسمالية ، والعولمة وانهيار الاتحاد السوفييتي السابق، وهي جزء من البنية الداخلية للمجتمع الأمريكي الذي قام أصلاً على الإبادة والعدوان واسترقاق السود ونهب الآخرين ، وبالتالي فإن وصول إدارة بوش إلى السلطة هو الذي كان نتيجة ذلك التطور، وليس العكس.

أسرار وفضائح البيت الأبيض

وإذا كان من المفيد رصد وفهم مثل تلك التفاعلات مع إدراك محدودية تأثيرها وطبيعة ذلك التأثير، فإننا نرصد صدور عدد من الكتب التي تناهض سياسة الرئيس بوش وتقدم انتقادات لاذعة له ومن هذه الكتب كتاب " أكذوبة بوش الابن " للمؤلف الأمريكي دافيد كورن ، وكتاب " أكاذيب وكذابون " للصحفي مولي إيفانز، وهذان الكاتبان يؤكدان أن البيت الأبيض عمد إلى تسييس أحداث ١١ سبتمبر لتبرير سياسات معتمدة سلفًا مثل الحرب على الإرهاب ، وهناك أيضا كتاب " ثمن الولاء " لوزير الخزانة الأمريكي السابق " بول أونيل " والذي يصور فيه المؤلف الذي أطلع عن قرب بحكمة عمله كوزير للخزانة في إدارة بوش على أسرار السياسة الأمريكية في عهد ذلك الرئيس وإدارته وعرف كيف تدار المسائل الاستراتيجية وقرارات الحرب وغيرها ، وقد أتهم بول أونيل الرئيس بوش الصغير بأنه سلبيّ وسطحيّ ولا دور له إلا توقيع القرارات ، وأن هذه القرارات يتخذها

المحـــافظون المتشـــددون من أمثال ديك تشيني ، وكارل دون. وكشف بـــول اونـــيل أن خطة ضرب العراق كانت خطة معدة سلفا ربما حتى قـــبل فـــوز جـــورج بوش الابن بانتخابات عام ٢٠٠٠ ، لأن الشهور الـــثلاثة الأولـــى من حكم بوش الابن كانت موجهة لدراسة آليات تنفيذ تلـــك الخطة، والبحث عن ذرائع لتبرير العملية أمام الرأي العام، وإن الجميع من مستشاري الأمن القومي حتى وزير الدفاع كان يعمل لتنفيذ الخطـــة، وليس السؤال عن جدواها أو عدم جدواها مثلا ، وقد تضمن الكـــتاب عـــددًا من الوثائق التي أزعجت البيت الأبيض الذي اعتبرها نوعًا من إفشاء أسرار الحكم الذي كان أونيل جزءًا منه لمدة ٣٣ شهرًا كوزيـــر للخزانة ، منها وثائق تثبت أن قرار الحرب اتُخِذ قبل أحداث ١١ ســـبتمبر؛ بـــل إن تصـــورات ما بعد الحرب كانت تتم مناقشتها، وكانت الحرب شيئًا حتميًا لا رجعة عنه ، وإحدى هذه الوثائق بعنوان " عـــراق مـــا بعد صدام "، والأخرى بعنوان " الساعون الأجانب لعقود حقول النفط العراقية "، ويعترف وزير الخزانة مؤلف الكتاب المذكور " ثمـــن الـــولاء " أن فكرة الحرب الاستباقية فكرة غير أخلاقية وأنها أساءت إلى سمعة أمريكا ، وجعلت منها دولة مارقة منفردة بقرارها لا تصـــغي لصـــديق أو حلـــيف؛ فأصبحت بذلك في عزلة من العالم كما يعترف الرجل بأن الاجتماعات التي شارك فيها والتي كانت مخصصة لموضوع امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل أعطته إحساسًا بعدم جدية الأدلة المقدمة على ذلك، وأن أحدًا لم يكن يهتم بمدى جدية تلك الأدلة؛ بـــل انصبَّ الاهتمام على البحث عن أساليب الإطاحة بصدام ووسائل الغزو العسكري واحتلال العراق .

على الجانب الآخر لصراع الأفكار؛ فإن كتاب " نهاية الشرّ " للمؤلف ريشارد بيرل هو الأكثر تعبيرًا عن أمريكا وعن المؤسسة الحاكمة فيها وعن توجهاتها الرئيسة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والانفراد بالتنمية في العالم وانتصار الرأسمالية وتطورها في اتجاه العولمة، وكذا فإن شخصية المؤلف ذاتها تؤكد هذا المعنى؛ فريتشارد بيريل هو فيلسوف اليمين الأمريكي المحافظ، وبالتالي فهو فيلسوف ومنظر المؤسسة الأمريكية الحاكمة في هذه الحقبة، وهو الأب الروحي للعصابة التي تحكم البيت الأبيض: (تشيني، رامسفيلد، وكونداليزا رايس، وولفوتيز .... إلخ)، وكان ريشارد بيرل هو رئيس مجلس سياسات الدفاع في البنتاجون، وبعد فضائح مالية أصبح عضوًا في ذلك المجلس، ولكن لا يزال هو المؤثر الأكبر عليه، حيث الرئيس الجديد والأعضاء هم تلاميذه، وهو مهندس الحرب على العراق بلا منازع، وأول من وضع خطة لذلك الأمر حتى قبل أن يتولى بوش الرئاسة، وأراء بيرل يرددها كبار المسؤولين في البيت الأبيض، كما يرددها عدد كبير من الباحثين والمفكرين والجنرالات في أمريكا، أي أن الرجل هو التعبير الأساسي عن السياسة الأمريكية في تلك الحقبة، وهو أن ريشارد بيرل كان مستشارًا لليكود في إسرائيل، وقد طرح الرجل في هذا الكتاب (الخطير والهام، والذي ينبغي ترجمته بسرعة، وقراءة ما فيه ومعرفة ما يخطط لنا بالتالي في أمريكا في تلك الحقبة) أسرارًا غاية في الخطورة؛ فهو يرى أن الإسلام هو مصدر الشر، وأن

البلاد العربية والإسلامية هي معمل تفريخ الإرهاب، ويدعو الى مهاجمة كل من إيران وسوريا سريعا، وانه يجب إلغاء معاهدة أوسلو وحل الموضوع الفلسطيني على طريقة شارون ومن جانب واحد، وأن الأمم المتحدة لا قيمة لها ولا تعني شيئا، وأنه ينبغي تأديب أوربا لتخلفها عن تأييد ودعم الضربة العسكرية الأمريكية للعراق، وأن فرنسا دولة عدوة، وأنه يجب اتباع من الإجراءات التأديبية ضد فرنسا، وأن زمن الحرب الباردة قد انتهى، وأن على فرنسا أن تدرك ذلك وتغير خطابها السياسي، وأن أمريكا هي القوة الوحيدة في العالم الآن ولا يوجد منافس أو منازع لها، وأن احتلال العراق ليس إلا مقدمة تتبعها سوريا ثم السعودية كهدف استراتيجي، ومن ثم تكون مصر هي الجائزة، وأن فلسطين هي إسرائيل، والأردن هي فلسطين. والعراق هو المملكة الهاشمية، وأنه من حق الولايات المتحدة ضرب أية دولة في العالم تعجز عن القيام بدورها في ملاحقة الإرهاب؛ لأن هذا العجز يؤدي إلى خطر على أمريكا في النهاية!. ويرى بريل ضرورة تخويف روسيا حتى تقر بالقيادة لأمريكا وحدها، ويطالب الرجل بمضاعفة ميزانية الدفاع والمخابرات وإعادة ترتيبها بما يضمن الكفاءة في شن الحروب الوقائية أو الاستباقية، وقد يبدو للوهلة الأولى أن الرجل مصاب بجنون العظمة أو أن ما يقوله " هلوسات الغطرسة " كما وصفه البعض، أو إطلاق وصف أمير الظلام عليه كما أصبح مشهورًا عنه، كل هذا قد يكون صحيحًا أو خاطئا، أو صحيحًا جزئيًا أو خاطئا جزئيًا، ولكن المؤكد أنه حتى لو كان الرجل مجنونًا أو أميرًا للظلام أو مصابا بهلوسات الغطرسة؛ فإن ما يقوله هو للأسف السياسة الحقيقية

أو القريبة جدًا من الحقيقة للمؤسسة الأمريكية الحاكمة وللمجمع الصناعي العسكري المتحكم الحقيقي في أمريكا، فضلاً عن حكام البيت الابيض وإدارة جورج بوش وصقور وزارة الدفاع ، أي أن علينا أن نأخذ ما يطرحه الرجل بجدية مهما كان غريبًا وفظًا وشاذًا !!

الجريمـــــة

٦

الجريمـــــة

يعجــز القلــم على نقل الإحساس الداخلي لأي عربي أو مسلم أو حــتى أي إنســان محترم تجاه ما قامت به سلطات الاحتلال الأمريكي والبريطانـــي تجــاه الشــعب العراقــي؛ بل قل تبكي المآذن والقباب والمحاريــب على ما حدث، وإذا كان تراثنا الإسلامي العظيم يقول إن حــرمة الإنسان أعز على الله من الكعبة فإن هذا يوضح إلى أي مدى كان عمق المهانة والذل الذي شعرنا بها جميعًا تجاه ما حدث للعراقيين فــي معسكرات الاعتقال . فالصور التي نشرتها صحيفة "الديلي ميرو" البريطانية والتي تم نقلها على نطاق واسع في صفحات الإنترنت وفي قــنوات التليفزيونــية الفضــائية تعــبر عن حقيقة التوحش الأمريكي والغربي ومدى المهانة والضعف التي نعاني منها، ويجب هنا أن نلفت الــنظر إلى أن تلك الممارسات كانت معروفة قبل أن تنشرها صحيفة "الديلي ميرو" وقد سجلتها اعترافات بعض الأسرى المفرج عنهم أو ما سجلته تقارير لجان حقوق الإنسان، ولكن السؤال هو: لماذا نشرت تلك الصــحيفة المذكورة هذه الصور، أو لماذا سمح لها بذلك؟ هل هو من بقايــا الضــمير الغربــي .. ربما ـ لكن الأكثر أهمية هو أن الدوائر الاســتخبارية أرادت أن تدرس رد الفعل العربي والإسلامي والعالمي علــى جريمة بمثل هذه الخسة والوحشية، فإذا كان رد الفعل ضعيفًا أو

محتملاً بالنسبة لها ــ وهو ما حدث ــ فإن ذلك يجعلها تجهز للمرحلة الثانــية أو الثالــية للعدوان .. فهل يكون ذلك باتجاه هدم الأقصى، أو شيء قريب من هذا ــ محتمل جدًا!!.

المقاومة هي الحل

الجرائم المنشورة ــ ناهيك طبعًا عن غير المنشورة هي بالتأكيد أكــبر وأســوأ، تــدور حــول تبول جندي أمريكي على أحد الأسرى العراقيين المقيدين في الأغلال وهو ما يعني أن الأمريكيين ينظرون لنا على أننا دون البشر؛ بل دون الحيوانات أصلاً، وهي النظرة التي تبرر لهم ما يفعلونه أو سوف يفعلونه بنا، وتمهد لعمليات الإبادة والاسترقاق المتوقعة لنا .

وكذا تعذيب الأسرى بوضع سجائر مشتعلة في أجزاء حساسة من أجســادهم، أو تعذيبهم بالكهرباء في أماكن حساسة من أجسامهم أيضًا، أو بجبرهم على ممارسة الشذوذ الجنسي أو تمتع المجندين والمجندات الأمريكييــن بحــركات شاذة يمارسونها مع الأسرى أو يتفرجون على ممارســتها، والجديــر بالذكر هنا أن الجنود البريطانيين فعلوا الشيء نفســه، وهــو مــا يؤكــد أن الانحطــاط الأخلاقي ليس قاصرًا على الأمريكييــن فقط؛ بل هو سلوك وسمة غربية، وكذا النظرة الدونية لنا كبشــر هي تعبير عن نمط حضاري عربي كامل وليس أمريكي فقط، وفــي النهاية فإن أمريكا هي أحر صور الانحطاط الحضاري الغربي، وهو ما يعني أننا أمام تحد غير مسبوق؛ فإما المقاومة حتى ولو كانت نتيجــتها الموت، وإما الموت أيضًا مع العار، ولا ننسى في هذا الصدد

حالات الاغتصاب التي تعرضت لها العراقيات وهو ما تم نشره قبل ذلك وشكك فيه البعض، ولعل ما يحدث في العراق وقبلها في فلسطين يؤكد حقيقة انحطاط الغرب بكل مدارسه وحدوده، وليس اليمين الأمريكي فقط، بل حزب العمال "البريطاني" وقبله الليكود والعمل في إسرائيل وهلم جرًا ..

شذوذ القاعدة

لا يمكننا بالطبع أن نفهم الحديث المنافق عن أن ذلك سلوك فردي لمجموعة من الجنود، فإحداهن كانت برتبة جنرال أمريكي أي أن السلوك يعبر عن خلفية فكرية وثائقية معينة تطال القاعدة العريضة ــ هناك شذوذ على القاعدة واستثناءات طبعًا تمثل الضمير أو بقايا الضمير الغربي ــ ولكننا عادة نستنتج النتائج والدلالات من القاعدة الأوسع والمحصلة والمجرى الرئيسي للظاهرة، وطوال فترات الاستعمار الغربي لبلادنا حدثت انتهاكات بشعة مارستها حكومات جمهورية وملكية، يمينية ويسارية .. الخ .... ويجب عدم قطع الصلة الإحصائية والدلالات بين ما حدث في العراق، وما كان يحدث في البلاد المستعمرة، من الجزائر إلى مصر إلى ليبيا إلى فلسطين إلى سوريا .... الخ

ومما يدعو إلى الاستفزاز أن أحد عملاء الاحتلال الأمريكي في العراق قال تعليقا على ما حدث في معسكرات الاعتقال على يد القوات الأمريكية والبريطانية أن ذلك كان يحدث أيضا في سجون صدام

حسين، وهب أن ذلك صحيحًا، فهل يبرر الخطأ، وإذا كان صدام حسين معرض الآن للمحاكمة، فهل نتوقع محاكمة كل من جورج بوش وتوني بلير ورامسفيلد بتهمة مجرمي الحرب، أشك بالطبع وحتى لو تم إعدام هؤلاء فإن ذلك لن يُنسي الذل والعار الذي لحق بنا، والذي لا حل له سوى المقاومة والتحرير ومواجهة التحدي الغربي بكامله، فإما الموت واقفين ، وإما النصر و ليس العار والانكسار والذل بحثًا عن حياة شكوك في الحصول عليها أصلاً!! .

وبمناسبة الحديث عن أن ذلك كان يحدث في سجون صدام فإن المقاومة تكمن في أن الدوائر الأمريكية والبريطانية ومن لف لفهم من عرب أمريكا كان قد برروا العدوان على العراق بأسلحة الدمار الشامل العراقية، وثبت أن هذه أكبر كذبة أمريكية وبريطانية معاصرة، فلما سقطت تلك الكذبة، قالوا إننا جئنا لإنقاذ العراقيين من التعذيب والقهر والديكتاتورية، فإذا هم أنفسهم يمارسون أبشع أنواع التعذيب والقهر والديكتاتورية، بل وأكثرها نذالة وانحطاطًا ــ فماذا بقي لهم لكي يتذرعوا به؟ أليس هذا كافيًا للذين تورطوا في التعاون مع الأمريكان وخاصة في مجلس الحكم أن يراجعوا أنفسهم؟ ما معنى استمرار حزب الدعوة، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، والإخوان المسلمين؟ بل وكل القوى السياسية المشاركة في الحكم ــ ثم معنى مراهنة السيستاني وقطاع كبير معه على مسألة الانتخابات تحت أسنة الاحتلال الأمريكي!! أليس هذا نوعًا من الانسحاق والاستذلال بلا حدود، لماذا لا يصطف الجميع في خندق المقاومة العراقية الباسلة ... لو كان هناك نخوة أو دين أو عروبة أو وطنية للآخرين إلا بالمقاومة ، والمقاومة فقط .

حضارة عنصرية

حديـــث البعض عن صدمته ، فيه قدر من المراوغة؛ فالحقيقة أن كــل تاريخ أمريكا، والمجرى الرئيس في تاريخ الحضارة الغربية يقود إلـــى تلك الجرائم ويؤدي إليها، فهي حضارة عنصرية قامت ولا تزال على إبادة الآخر وقهره وتعذيبه ونهبه، والمسلمون حاليًا هو هذا الآخر المســتهدف، ولعــل مـــا حدث في العراق وقد أصبح معروفًا بفضل الصور المتسربة يؤكد على أن أشياء أسوأ وأكثر حدثت في أفغانستان، وحدثــت وتحــدث فـــي معســكر جوانتانامو، ولكن الحصار الأمني والمعلوماتي حول ما يحدث هناك ما زال لم يخترق، بل إن العجيب أن أمــريكا استقدمت أحد خبراء التعذيب في معسكر جوانتاناموا للاستفادة بخبرته في العراق ولكن من هؤلاء المساكين في جوانتاناموا. ودماؤهم وأعراضـــهم ومـــا لحــق بهم من تنكيل وتعذيب في رقبة الحكومات العربية والإسلامية وفي رقبة العالم المتمدن!!

الحرب علىٰ حماس



الحرب علي حماس

-عملية القضاء على المقاومة إسرائيليا ليست جديدة، ولكن الجديد مستوى العنف فيها واتساعها وصمت وسكوت أو موافقة ضمنية عربية عليها.

-المبررات الأمريكية لضرب حماس يمكن أن تنصرف إلى أنها سياسة ضد كل ما هو عربي أو إسلامي أو مقاومة لا أكثر ولا أقل.

-الخطورة ليست في الضغط الخارجي على حماس، ولكن إمكانية استدراج حماس في خط المساومة والهدنة بفعل الضغط الداخلي الفلسطيني.

الحرب على حماس هو العنوان الرئيس للسياسة الأمريكية الإسرائيلية، خاصة بعد قمتي شرم الشيخ والعقبة، ولعل هذا يؤكد أول ما يؤكد أن الهدف الرئيس من خارطة الطريق الأمريكية لم يكن إلا محاولة ذبح المقاومة الفلسطينية عموما وخاصة حماس باعتبارها أكبر حركات المقاومة الفلسطينية وأكثرها قدرة على تنفيذ العمليات وإنزال الخسائر بالعدو الصهيوني.

بديهي أن الحرب على حماس هي حرب على كل المقاومة الفلسطينية: حماس، والجهاد، وكتائب الأقصى، والجبهة الشعبية، وكل

من يرفض الخضوع للسلام أو الاستسلام الأمريكي الإسرائيلي.
والرئيس الأمريكي جورج بوش بنفسه قال: إن على العالم أن يتصدى لحماس، ويعتمد الشدة والحزم في التعامل معها، وطلب بنفسه تجفيف منابع تمويل الحركة من الدول العربية أفرادا وحكومات، وحصل بالفعل على تعهد بذلك من الدول العربية، كما أنه كان من قبل قد نجح في وصف حركات المقاومة بالإرهاب، وأخذ موافقة جميع الدول العربية المشاركة في قمتي شرم الشيخ والعقبة بمن فيهم رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن).

وهكذا فإن بوش يطلب شن حرب عالمية وإقليمية على حماس ويطلق يد إسرائيل طبعاً في الاستمرار في محاولة تصفية حماس وغير حماس لانتزاع الخلايا الحية من الجسد الفلسطيني، ومن ثم إفقاد الجسم مناعته وقدرته على الرد وتركه جثة هامدة يمكن التصرف فيها بدون مشاكل.

حرب ليست بجديدة

الحرب الأمريكية الإسرائيلية على حماس ليست جديدة عليها ولا على كل حركات المقاومة، وحاولت إسرائيل دائما - ولا تزال- القضاء على حماس والجهاد الإسلامي وكتائب الأقصى والجبهة الشعبية، فعلت كل ما في وسعها: من اغتيال قادة سياسيين، مثل: الدكتور (فتحي الشقاقي) مؤسس حركة الجهاد الإسلامي وأمينها العام في قبرص عام ١٩٩٦، و(أبو علي مصطفى) الأمين العام للجبهة الشعبية، ومحاولة اغتيال (خالد مشعل) في عمان، وأخيرا اغتيال (احمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي).

ومن تدمير المنازل ونسفها إلى اغتيال كوادر نشطاء بمختلف المستويات من حماس والجهاد تحديدا، واقتحام المدن واعتقال كوادر حركات المقاومة.

والمسألة هنا لا تخص حكومة (شارون) وحدها؛ بل فعلتها حكومات من قبل شارون، ومن حزب العمل نفسه وهي محاولة اغتيال الدكتور (فتحي الشقاقي)، فقد كانت في وجود رابين كرئيس وزراء لإسرائيل، ومن قبل ذلك فإن اغتيال السياسيين والمدنيين كان سمة ثابتة للسياسة الإسرائيلية من اغتيال الوسطاء الدوليين قبل ١٩٤٨، أو اغتيال (أبي جهاد) أو قادة ومفكري وشعراء المقاومة في بيروت (نفذها باراك شخصيا)، وغيرها من العمليات التي لا تعد ولا تحصى.

فعملية القضاء على المقاومة إسرائيليا ليست جديدة، ولكن الجديد مستوى العنف فيها واتساعها، وصمت وسكوت أو موافقة ضمنية عربية عليها، وكذلك فإن الجديد هو انحياز أمريكا المعلن والرسمي إلى إسرائيل في هذا الصدد واعتبار المعركة مع حركات المقاومة معركه امريكية أساسا.

معركة غير أخلاقية

وهي معركة بالطبع غير أخلاقية ولا مبررة؛ لأن الحرب الأمريكية على حماس بدعوى أنها منظمة إرهابية فيها تناقض واضح، لأنها حركة تريد تحرير الوطن، فهي حركة تحرر وطني وإسرائيل تحتل فلسطين، وبالتالي فإن مقاومة الاحتلال بكل المعايير المعروفة

وعير المعروفة أمر مشروع، ولو كانت الحرب الأمريكية على حماس بدعوى أنها تقتل مدنيين إسرائيليين فإسرائيل تقتل مدنيين فلسطينيين، وعدد المدنيين القتلى من الفلسطينيين - طوال الصراع وليس في عهد شارون فقط- كبير جداً ولا يقارن بمن قتلتهم حماس، فهذا بصرف النظر عن ان الكيان الإسرائيلي كله عبارة عن معسكر للعدوان، وأن مجرد وجود الإسرائيلي في فلسطين هو تشريد ونفي وحرمان للفلسطيني، وبالتالي فوجود الإسرائيلي في فلسطين غير مشروع ولا مبرر مدنيا كان أو عسكريا، وحتى قبل ظهور حماس والجهاد كان العنف الإسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين سياسة ثابتة معروفة ومسجلة بالمذابح والجرائم الموثقة.

أما إذا كانت أمريكا تعلن الحرب على حماس لأنها منظمة أصولية إسلامية؛ فإن الإدارة الأمريكية ذاتها متأثرة بالأصولية المسيحية الإنجيلية، والرئيس (بوش) ذاته دعا إلى الاعتراف بدولة يهودية، فهل هو حلال على اليهود والإنجيليين والأمريكيين حرام على العرب والمسلمين وحماس؟!.

وهكذا فإن المبررات الأمريكية لضرب حماس يمكن أن تنصرف إلى أنها سياسة ضد كل ما هو عربي أو إسلامي أو مقاومة، لا أكثر ولا أقل!.

هل تنجح الحرب الأمريكية على حماس؟!

الحقيقة أن هناك عوامل متداخلة، والإجابة عن السؤال ستتوقف

علـــى حمـــاس نفسها. وبداية فان كمية الحرب على حماس بعد إعلان الحـــرب الأمريكـــية عليها لن تزيد كثيرا عما تعرضت له على يد آلة الحرب الإسرائيلية منذ فترة طويلة، وآلة الحرب الإسرائيلية لا تقل عن آلـــة الحـــرب الأمريكية قسوة ووحشية وقوة؛ بل ربما تزيد لأنها على عنصر بشري يهودي أكثر حماسا وشجاعة من الأمريكي بالضرورة، وآلـــة الحرب الإسرائيلية تضم كل السلاح الأمريكي المتطور، وتستند إلـــى قـــاعدة أن الأرض هي إسرائيل بكاملها واستخباراتها لا تقل قوة فضـــلاً عما توفره استخبارات أمريكا ذاتها لكل المعلومات المطلوبة، ولديها جيش من العملاء الفلسطينيين لا يتوافر لأمريكا، وقد استطاعت حمـــاس أن تصـــمد أمـــام كل هذا؛ بل استطاعت حماس وغيرها من المنظمات الفدائية الفلسطينية أن تنفذ عملياتها في كل الظروف بما فيها ظـــروف الاســـتنفار الإسرائيلي الكامل والاقتحامات والتواجد الأمني، والنشـــاط الاســـتخباراتي المكثف، ووصلت بعملياتها إلى كل مكان في الأرض المحـــتلة من النهر إلى البحر وفى الجليل و في الجنوب ضد المدنييـــن وضد العسكريين، وهكذا فإن المسالة لن تزيد كثيرا اللهم إلا فـــي جانب زيادة الكثافة الإعلامية ضد حماس، وهذا ربما يفيد حماس ويـــزيد حجم التضامن معها، وكذلك في جانب تعرض حماس لحصار عربـــي مـــن الحكومـــات العربية، وهذا يؤدي إلى مزيد من الالتفاف الشـــعبي، خاصة بعد تزايد حالة العداء لأمريكا في المنطقة بعد احتلال العـــراق، وكذلك محاصرة حماس ماليا، وأعتقد أن الحركة التي تستند إليها حماس لديها بدائل مرنة جداً في هذا الصدد.

وبالمحصـــلة فـــإن الظروف الدولية والإقليمية أكثر قسوة، ولكن

وضـــع الامـــة تحت حد السكين سيجعل هده الحالة الدولية والإقليمية عـــاملا مـــن عوامـــل رياده مساحة التعاطف الشعبي وترفيد الحركة بالكوادر، ولا ننسى أن حركات المقاومة -خاصة حماس والجهاد- قد نشـــات فـــي ظروف إقليمية ودولية غير مواتية، وكانت هذه جزء من عـــبقرية المقاومـــة وبـــركة الجهـــاد، واستطاعت أن تنجح برغم هده الظروف، ولن تكون المسائل في هذا الصدد أكثر قسوة لأننا إزاء عدو أمريكـــي أحمق، ويثير من رد الفعل الإيجابي بالنسبة لحماس أكثر مما يفعل للضغط عليها، والجماهير العربية والإسلامية والفلسطينية لم يعد أمامها خيار؛ فإما الانبطاح وفقدان الكرامة أمام أمريكا، وإما مقاومتها، وحماس هنا رأس جسر ونموذج يمتلك رصيدا هائلا.

خطورة الاستدراج

الخطورة كل الخطورة ليست في الضغط الخارجي على حماس، ولكـــن الخطورة في إمكانية استدراج حماس في خط المساومة والهدنة بفعـــل الضـــغط الداخلي الفلسطيني، وهو معقد ومتلوع ويمكن أن يثير الاضطراب في الحسابات الخاصة بحماس، وكذلك الضغط العربي من أصـــدقاء حمـــاس حكومات وحركات، أي يمكن الضغط على حماس مصـــريا مـــثلا..!أو عـــن طريق الضغط المصري مثلا على جماعة "الاخـــوان المســـلمين" بمصـــر؛ فتضغط بدورها على حماس وهكذا. ولعـــل محاولة اغتيال الدكتور (عبد العزيز الرنتيسي) المعروف بتشدده في هذا الإطار تأتي ضمن أسباب أخرى لإزاحة هؤلاء الذين يمكن أن يصـــمدوا أمام ضغط الداخل الفلسطيني أو التعقيدات السياسية العربية.

وبديهي أن إسرائيل تفهم ذلك، ولكن فشل محاوله الاغتيال كانت نوعاً من المدد من الله ورسالة تأييد واضحة، خاصة بعد حجم التعاطف مع الدكتور الرنتيسي من المفروض أن تزيد صلابة حماس، لأن الرسالة الإسرائيلية أيضاً هنا تقول: إن إسرائيل لا تقيم وزناً لخارطة الطريق؛ بل تريد نسفها منذ أول وهلة، أو أنها تفهمها على أنها اغتيال نشطاء سياسيين وعسكريين فلسطينيين، والقضاء على حيوية الشعب الفلسطيني لا أكثر، وبالتالي فإن من الوهم المراهنة على ما يسمى "إعطاء الفرصة لأبي مازن"، الفرصة الوحيدة المتاحة هي المقاومة، والمزيد من المقاومة، وإلا فإنه السقوط والموت والعار أيضاً.

اغتيال الشيخ ياسين



اغتيال الشيخ ياسين

جـــاءت العملـــية الصهيونية باغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين، وهو الشهيد الفلسطيني العربي المسلم -الشهيد الحيّ- قبل اغتياله وبعد اغتـــياله؛ لأنـــه كـــان شهيدًا يمشي على الأرض، جاءت هذه العملية الغادرة لتذكرنا بحقائق لن تغيب عنا -إن شاء الله-، ولن تغيب عن كل شرفاء هذه الأمة.

فالشـــهادة قـــدر الشـــرفاء، وقدر المجاهدين، وهي تكريمٌ من الله تعالى لمن يستحقها (ويتخذ منكم شهداء) والشيخ المجاهد أحمد ياسين – رحمـــه الله استحق الشهادة بجدارة، بجهاده في سبيل الله، ثم الوطن والأرض والعـــرض، نحســـبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، وقد نال الشيخ أحمد ياسين هذه الشهادة مع عددٍ من رفاقه المجاهدين.

- إن العدو الصهيوني، بل العدو الصهيوني الأمريكي هو تجسيد للخســـة والغـــدر، وأنـــه كان وسيكون دائمًا – بحكم الطبع والتكوين والأهـــداف – إرهابـــيًّا عدوانيًا، ولا سبيل هناك لمواجهةٍ إلا بالمقاومة كخيار صحيح ووحيد، وهل تكون العملية الغادرة ضد الشيخ ياسين في فجـــر يوم الاثنين ٢٢ مارس ٢٠٠٤عند خروجه من أحد مساجد غزة

بعـد أدائـه مـع رفاقـه صلاة الفجر- درسًا لهؤلاء الذين ما يزالون ينخدعون بإمكانية السلام والتعايش مع الكيان الصهيوني؟!

- إن الجماهير التي خرجت لوداع الشيخ ياسين في غزة، أو التي خرجـت فـي مظاهـراتِ احتجاج في طول العالم العربي والإسلامي وعرضه إنما تؤكد تقديرها وتحيتها لكل مجاهد، وتعلن انحيازها لخيار المقاومة ورفضها لمسيرة الخضوع والإذعان، وكذلك هو استفتاء على أن الشـيخ ياسـين شخصـيًّا هـو الإنسان والمجاهد والرمز الأسمى فلسطينيًا وعربيًا وإسلاميًا، وهو الزعيم الحقيقي لتلك الجماهير.

-أن مـتابعة شارون شخصيًّا للقوّات الصهيونية أثناء تنفيذها لتلك العملـية الغـادرة، وأنه شخصيًا هو الذي أعطى التعليمات بذلك، وكذا موافقـة مجلـس الوزراء الإسرائيلي على تصفية كل الرموز السياسية لحركتـي حمـاس والجهـاد، وكل المجاهدين والمناضلين، وكذا تلقّي شـارون التهاني من الإسرائيليين عقب العملية، ثم تهنئته هو شخصيًّا للذين قاموا بالعملية إنما تؤكد أن الكيان الصهيوني لا يريد السلام، ولا يفهـم سـوى لغـةَ الدم، كما أنّ هذا كله هو نوع من الصفعة للحكام العـرب، وكل الذين يقابلون شارون أو يستقبلون الإسرائيليين من أيّ صـنف ونوع، وهل الحكام والمطبّعون يرعَوون عن هذه الإهانة لهم، وينحازون إلى صفوف أمتهم ووجدان جماهيرهم وشعوبهم، وأن روح الشماتة والفرح على وجوه الإسرائيليين عقب الإعلان عن العملية إنما تـدل على الخسّة والنذالة، وسوف يندمون كثيرًا إن شاء الله على ذلك (ليضحكوا قليلا ويبكوا كثيرًا).

عدوان على كل مسلم

إن العملية الغادرة ضد الشيخ ياسين ورفاقه هي عدوان على كل عربي ومسلم وفلسطيني؛ بل على كل مستضعف في العالم؛ بل على كل شرفاء هذا العالم، ذلك أن الشيخ ياسين لم يكن رمزًا لحركة حماس فقط؛ بل لكل المقاومة الفلسطينية، ولكل الشعب الفلسطيني، ولكل عربي ومسلم، ولكل مستضعف في العالم، ولكل من يحلم ويريد مناهضة الهيمنة الأمريكية والاستكبار الدولي، ولكل من يحلم بعالم نظيف جميل وعادل.

وهكذا فإن الانتقام للشيخ ياسين لن يكون قاصرًا على حماس فقط، ولا المقاومة الفلسطينية فقط، بل سيمتدّ ليشمل كل عربي ومسلم في فلسطين وخارجها، وهكذا فإن تغيرًا نوعيًا متوقعًا على مستوى المقاومة والمناهضة للمشروع الأمريكي الإسرائيلي بعد اغتيال الشيخ ياسين.

ـ إن اغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين ورفاقه لن يفتّ في عضد المقاومة، ولا حركة حماس؛ بل سيؤجّج الغضب، ويساهم في خروج المارد من القمقم ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ (الشعراء:٢٢٧) ومن المتوقع أن تتسع روافد المقاومة عمومًا وحماس خصوصًا. يمكننا أن نقول بدون إجهاد الذهن والتفكير إن عملية اغتيال الشيخ ياسين سوف تكون ذات آثار وخيمة على الكيان الصهيوني، وإنها نوع من الحماقة والفشل الإسرائيلي والشاروني، وهو

معـــروف بـــــ"الغباء الاستراتيجي" لأنّ الشيخ ياسين رجلٌ قعيد يسمع بصـــعوبة ويعاني من عددٍ كبير من الأمراض لم يكن له نشاطٌ حركي بالطـــبع فـــي الأونـــة الأخيرة؛ بل كان فقط يذهب إلى المسجد ويعود بمعونة عدد من أبنائه ومحبيه، وهكذا فإن التأثير الحركي لغياب الشيخ ياســـين علـــى حركة حماس لن يكون مؤثرًا. وفي المقابل فإن الشيخ ياســـين كـــان رمـــزًا تاريخـــيًّا، وهـــو من -وجهة نظري- من أهم الشخصيات التاريخية الفلسطينية ذلك أنه أحدث نقلة نوعية في النضال الفلسطيني في وقت حرج للغاية، ولولا هذه النقلة في حركة كبيرة مثل حمـــاس لكانت المقاومة، وخيار المقاومة، ومعادلات القضية كلها في موقـــف حـــرج .. صـــحيح أن حركة الجهاد الإسلامي سبقت في هذا الطـــرح حركة حماس، ولكنّ دخول حماس في تلك المعادلة -بما لها مـــن ثقـــلٍ عددي وإمكانياتٍ ضخمة- أحدث تعديلاً هائلاً في طرفي المعادلـــة لصـــالح خيار المقاومة، وهذا محسوب للشيخ أحمد ياسين -رحمه الله- شخصيًّا؛ ذلك أن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين كان قد قـــرر عـــدم المشـــاركة فـــي انتفاضة ١٩٨٧ ولكن الشيخ ياسين قرَّر العكـــس، واتخـــذ القـــرار على مسئوليته الشخصية، وإن هذا الموقف التاريخـــي للشـــيخ ياسين لم يكن فقط مفيدًا لخيار المقاومة، ولا مفيدًا للقضية الفلسطينية فقط؛ بل إنه كان أحد الدوافع الهامة التي زادت من شـــعبية جماعـــة الإخوان المسلمين في كل مكان في العالم، لأن حركة حماس أصبحت فخرًا للجميع، وبالتالي فإن الإيجابية الحماسية انعكست على سمعة الإخوان المسلمين عمومًا باعتبار حركة حماس أحد روافد جماعة الإخوان المسلمين

- الشيخ ياسين إذن رمز تاريخي كبير على مستوى حركة الإخوان المسلمين، وعلى مستوى المقاومة الفلسطينية، وبالتالي كان يملك الزخم الجماهيري القادر على القبول بأي حل براجماتي، ولعل اغتياله في ذلك الظرف، وبتلك الطريقة سيحرج إلى أمد بعيد كل دعاة الحل البرجماتي داخل صفوف حماس والمقاومة؛ فلم يعد هناك أحد بحجم أحمد ياسين قادر على القبول بحلول براجماتية، كما أن الذي حدث لأحمد ياسين وتقطيع جثته أشلاء على يد القوات الإسرائيلي، سيردع أي أحد يفكر في تلك الحلول البراجماتية، وبديهي أن كل ممارسات إسرائيل وشارون قد أحرقت الأرض تحت دعاة البراجماتية.

مرحلة جديدة من النضال

وهكذا فإن فلسطين بعد ٢٢ مارس لن تكون مثلها قبل ٢٢ مارس، ولا المقاومة بعد هذا التاريخ ستكون مثلما كانت قبله ولا حركة حماس كذلك، وستثبت الأيام أن إسرائيل سوف تدفع ثمنًا غاليًا لهذه العملية الغادرة، بل أمريكا أيضًا) والله من ورائهم محيط).عملية الاغتيال إذًا عنوان على حماقة وفشل شارون؛ فهو استهدف من العملية حفظ ماء وجهه وهو الفاشل في منع العمليات الاستشهادية، والذي يفكر في الهروب من غزة، ولا يريد أن يقال إنه خرج منها مدحورًا مذمومًا كما خرج باراك من لبنان. ولكن على كل حال؛ فإن عملية اغتيال الشيخ ياسين ليست عملية نوعية هامة رغم قيمة الرجل الكبرى؛ فقد كان الرجل سهل المنال لظروفه الصحية، ولحرصه على أداء الصلاة

في المسجد؛ وبالتالي فإن اغتياله لم يكن صعبًا، بل هي عملية جبانة وغادره، وإسرائيل تريد أن توصل رسالة إلى قادة المقاومة والدول العربية أنها لن تتورع عن عمل أي شيء، وإذا كان اغتيال الشيخ ياسين من اغتيال الرمز الأكبر فلسطينيًا، وهي عملية كان يعرف شارون أنها غير مبررة دوليًا، فإن معنى ذلك أنَّ شارون يقول إنه سيفعل كل شيء مهما كان ذلك استفزازيًا للفلسطينيين أو مدان من العالم وأنه لم يعد يهمه شيء ؛ وهذا شكل من الحماقة والغطرسة أيضًا؛ فالقرار الإسرائيلي بتصفية الكوادر السياسية لحركات المقاومة سيدفع بصفوف جديدة لقيادات تلك الحركات، ستكون بالضرورة أكثر راديكالية وخبرة، لأنها ظهرت وتربت في أتون المعركة.

معركة أمريكية إسرائيلية ضد المقاومة

يصنف الدكتور إبراهيم البحراوي الخبير الاستراتيجي المعروف مواقف الإسرائيليين من تلك العملية؛ فهناك قسم يرى أنه لو كان اغتيال الشيخ ياسين سيؤدي إلى إصابة حركة حماس بالشلل لوافق على عملية الاغتيال، ولكن الاغتيال سيؤدي إلى العكس، أي إلى زيادة نشاط حركة حماس لأن حماس مرتبطة بشبكة أوسع من الإسلاميين في جميع أنحاء العالم؛ وبالتالي فإن اغتيال الشيخ لن يؤدي إلا إلى المزيد من عملياتها)هذا رأي الوزير افراهام بوراز). وقسم آخر يرى أن العملية ضارة تكتيكيًا ومؤثرة على المدى الطويل .. وهذا رأي الوزير "نتنياهو" فهو يرى "أن حماس سترد في المدى القصير بعمليات

يهز الأمن الإسرائيلي لكن عملية الاغتيال ستحقق الفائدة لإسرائيل في المدى البعيد على أساس أن هذه العملية تبعث برسالة إلى كل من يعمل ضد أمن إسرائيل وهي رسالة تقول ان إسرائيل لن تضع أي حسابات لقـيمة الشـخص ولا لمكانته وهذا ما يجعل قادة حماس يرتدعون في المستقبل".

ونقـلا عـن د. إبراهيم البحراوي أيضًا؛ فإن المحلل العسكري الإسـرائيلي الجنرال جودا عوفير يرى أن الشيخ أحمد ياسين سيكون وهـو ميت أقوى مائة مرة عما كان عليه وهو حي؛ فلقد كان حيًّا فقط يحـرك تنظيم حماس أما وهو ميت فإنه سيحرك أناسًا عاديين سيدفعهم الغضب لمشهد بدنه المحترق وهو خارج المسجد إلى التحرك.

ويـرى الدكتور بوعازجانور الخبير بمعهد دراسات الإرهاب أن المشكلة الأمنية التي خلفها اغتيال الشيخ تتمثل في الناس العاديين الذين سـيتحركون بـالدافع الذاتي بعيدًا عن الرقابة المفروضة على حركة التنظيمات، وهؤلاء يمثلون خطرًا لا يمكن توقع تحركاته، وفي الاتجاه نفسـه يـرى الدكـتور رؤبين باز المحلل السياسي أن عملية الاغتيال تحمل لإسرائيل مخاطر أوسع؛ فالشيخ ياسين كان يعارض قيام حماس بأيـة عمليات ضد المصالح الإسرائيلية خاصة أن بطن إسرائيل عارية في العالم.

عملـية اغتـيال الشيخ ياسين هي جزء من الحرب العالمية ضد حمـاس وهـي معركة أمريكية إسرائيلية، وهي جزء من معركة بدأت مند وقت طويل ضد كل القوى الحية في الشعب الفلسطيني، وإذا كانت

إســرائيل قــد اغتالــت عشرات من قادة المقاومة من قبل أمثال: أبي جهــاد، الشقاقي ، أبي علي مصطفى ...إلخ؛ فإن إسرائيل أعلنت الآن بوضوح أنها سوف تغتال كل قادة المقاومة من حماس والجهاد وكتائب الأقصى والجبهة الشعبية وحتى الذين يتحدثون للفضائيات منهم، وذلك كــنوع مــن التصــفية النهائــية لــتلك الحركات بجناحيها العسكري والسياســي، أو تنظــيف غزة تمهيدًا للانسحاب منها وتسليمها بالتالي للعناصــر الموصوفة بالاعتدال إسرائيليًا من السلطة الفلسطينية، وهكذا فإن المعركة باتت مفتوحة ومعلنة، وبدهي أن قادة المقاومة لن يخيفهم المــوت لأنهــم يؤمنون بأن هناك قدر يحكم مسألة الموت ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُــمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾(الأعراف:٣٤)، وأن التراجع لــن يوقــف العــدوان الإسرائيلي بل سيزيده، بالتالي فإنه لا مفر من المقاومة كخيار وحيد وصحيح.

نهاية الوهم
بداية النصر

٩

نهاية الوهم بداية النصر

إذا كانت خارطة الطريق، وهي الخطة التي قدمها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إلى الفلسطينيين والإسرائيليين وقبلها الطرفان الرسميان، كانت نوعًا من الوهم والخداع والتحذير، وأنها لم تكن تقدم شيئًا حقيقيًا للفلسطينيين، وهي في أحسن الظروف والنوايا نوع من التصفية للقضايا الفلسطينية الجوهرية في مقابل أوهام عن دولة فلسطينية لا تكاد ترى على الخريطة ولا تكاد تمتلك أي مقومات للبقاء؛ فإن الطرف الإسرائيلي سعى مباشرة لتصفية هذه الخارطة بممارساته القمعية المستمرة وسياسته الإجرامية والتي كان آخرها اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي زعيم حركة حماس في غزة ومن قبله بأسابيع اغتيال الشيخ أحمد ياسين ضمن سلسلة صهيونية لتصفية قادة المجاهدين، بالإضافة إلى عدوان العدو الإسرائيلي وتجاهله للسلطة الفلسطينية رغم انبطاحها، ثم بناء الجدار العنصري العازل...الخ، وهي ممارسات وصفتها دوائر السلطة الفلسطينية ذاتها بأنها تنسف فكرة السلام من جذورها، إلا أن تلك السلطة ومن لف لفها من مثقفين وسياسيين منبطحين راحوا يبحثون عن وسيلة لإرضاء الأمريكيين عن طريق إدانة العنف الفلسطيني أو الاستمرار في المراهنة على دور أمريكي ضاغط على إسرائيل -وهو وهم طبعًا- ولكن المهم في

المســألة أنه كانت هناك سطور من الوهم تسمى خارطة الطريق يمكن لمن يريد أن يخدع نفسه أو يخدع الناس التمسك بها أو التلويح بها ، أو البحث عن موقف ما للرباعية الدولية أو الاتحاد الأوروبي !! ورغم أن المسألة كانت واضحة لأن الأمريكان دعموا الإسرائيليين بكل شيء من ســلاح ونفــوذ وفيتو وأعطوهم الضوء الأخضر لاغتيال قادة حماس، ورغــم التأيــيد الأوربي الصامت أو المتواطئ مع إسرائيل مع بعض المواقــف الــنقدية الشــكلية التي لا تسمن ولا تغني من جوع رغم أن المســألة كانــت واضــحة؛ إلا أن الغريــزة الاســتعمارية الأمريكية والصــهيونية أبــت أن تسقط ورقة التوت عن الجميع ، وتضعنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

الحلف الأمريكي الصهيوني

ولأن هذه الغريزة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية غبية -وهذه حكمة الله تعالى- ولأنها محملة بعداء صليبي طويل وعميق فإنها تفعل أفعالاً أقل ما يقال فيها إنها تحرج أصدقاء أمريكا، وتنسف منطق دعاة الســلام المزعوم، وتستفز الشعوب العربية والإسلامية - والفلسطينية بالطــبع- وهذا طبعًا لصالح المقاومة وثقافة المقاومة، ولأننا ندرك منذ الوهلة الأولى، ويدرك أي متابع ومحلل ينطلق من المعطيات المجردة، أنه لا سبيل هناك لانتزاع الحقوق كلها أو بعضها إلا بالمقاومة؛ فإن ما تفعلــه أمــريكا وإســرائيل مفــيد على المستوى الاستراتيجي لأمتنا وقضيتنا؛ ذلك أنها تدفع الشعوب دفعًا إلى اليقظة وإسقاط الأوهام، ومن ثم التخندق في خندق المواجهة كخيار وحيد لا بديل له أو عنه.

الموقف الأمريكي الأخير والذي اتخذته الإدارة الأمريكية عقب زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي آرئيل شارون الأخيرة إلى واشنطن عبّر تعبيرًا كاملا عن الانطباق الأمريكي الكامل مع الموقف الإسرائيلي، وهذا في حد ذاته خير حتى نعرف جميعًا أن العدو الإسرائيلي هو العدو الأمريكي وأن النضال والجهاد في العراق هو ذاته النضال والجهاد في فلسطين، وفي كل مكان. وأن علينا أن نواجه الحلف الأمريكي الصهيوني كشيء واحد وألا ننخدع بعد الآن بإمكانية الاستفادة من الموقف الأمريكي في فلسطين رغم ما يفعله في العراق. ولعل هذه النقطة في حد ذاتها تنهي أوهام الحكومات العربية أو الإسلامية التي تدعو إلى ذلك وتراهن عليه؛ فإما أن تفيق من الوهم، وإما أن تلطخ نفسها بعار الخيانة، أو داء الغباء والبلاهة.

ونلاحظ أن الموقف الأمريكي الأخير الذي تمخض عن اجتماع بوش وشارون جاء عقب زيارة للرئيس المصري إلى واشنطن وبعدها بأيام معدودة تم اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي!!.

الموقف الأمريكي تمثل في عدد من النقاط الكاشفة والتي تسقط أي وهم حتى إنه لم يعد لمخدوع أن يستمر في انخداعه ذلك أن الرئيس الأمريكي وكبار أقطاب حكومته قد عبروا عن أنه على الفلسطينيين ألا يفكروا في عودة اللاجئين، وأن حدود ١٩٦٧ ليست مقدسة، وأن حدود إسرائيل يجب ترسيمها وفقًا للحقائق السكانية الجديدة التي طرأت منذ عام ١٩٦٧، وأن إسرائيل دولة يهودية. وقد وصف أيهود أولمرت - نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي- الموقف

الأمريكـــي بأنه يمثل انتصارًا رائعًا لسياسة شارون، وفي المقابل فإن عددًا كبيرًا من الفلسطينيين، سواء من حماس أو الجهاد أو حتى أوساط السلطة الفلسطينية اعتبروا ذلك بمثابة "رصاصة الرحمة" على خارطة الطريق، وإذا كان ذلك مفهومًا من جانب حماس والجهاد؛ فإن وصول السـلطة الفلسـطينية إلى تلك القناعة، يرتب بالضرورة التخندق مع المقاومـة، وانهيـار وهـم الحصول على شيء عن طريق أمريكا؛ بل يرتـب -لـو كـان هـناك كرامة أو عقل- ضرورة فهم أن مواجهة المشروع الصهيوني الأمريكي يقتضي المقاومة .. والمقاومة فقط ، في مواجهة إسرائيل وأمريكا معًا وبلا تفرقة بينهما، فالمعركة في فلسطين هي ذاتها في العراق هي ذاتها في أفغانستان !!.

معركة شعوب مسلمة

الغريـزة الاستعمارية بحكم طبيعتها غبية واستفزازية -وهذا من رحمة الله بنا- إذا كنا حقًا شعوبًا حية، وحتى لو سقطت الحكومات في صـمت الخـيانة أو الغباء؛ فإن ذلك لن يقدم ولن يؤخر، لأن المعركة معركة شعوب في النهاية، وإذا كانت الغريزة الاستعمارية محملة أيضًا بوجدان صليبي استكباري وغطرسة وحمق؛ فإن المسألة أفضل بكثير، لأننا نؤمن أن أمتنا لا تزال حية، وأن جماهير الأمة قادرة بالمقاومة- علـى غـرار المقاومـة العراقية والفلسطينية- على إفشال المشروع الأمريكـي الصهيوني، طالما سقطت الأقنعة وباتت الحقائق واضحة؛ ولعل نهاية الوهم هو بداية النصر.

الممارسات الأمريكية في العراق، مثل الممارسات الصهيونية في

فلسطين، الممارسات السياسية والعسكرية والاقتصادية على حد سواء، كلهـــا تقود إلى سيادة ثقافة المقاومة؛ فالسياسات الأمريكية والصهيونيه تسقط ورقة التوت عن المتعاونين مع أمريكا والمراهنين عليها، وبدهي أن انهـيار الوضـــع الرســـمي العربي أو "شَلَله" سيفسح المجال أمام حـــركات المقاومـــة لامتلاك زمام المبادرة الشعبية وهو ما يعترف به مفكـــرو العـــدو أنفسهم؛ فالمفكر والقيادي في حزب العمل الإسرائيلي حـــ رامون يرى أن استمرار الحالة العربية الرسمية الراهنة أفضل كـــثيرا مـــن تغيـــيرها وظهور حركات للمقاومة على الغزار العراقي والفلســـطيني معادية لأمريكا وإسرائيل، وهو نفس رأي يعكوف بيربي الرئيس السابق للمخابرات الإسرائيلي "الموساد".

المواقـــف والسياســـات الامريكية الإسرائيلية في الحقيقة تصفي الوجـــود الفكـــري ومن ثم الواقعي للتيارات التلفيقية أو المرنة وتفتح الطـــريق واسعًا وبلا حدود أمام تيار المقاومة وخاصة الإسلامية منها، ولا شـــك أن اكتساب الشعوب لعنصري إسلامية المرجعية، والمقاومة المســـلحة الشـــعبية للمشـــروع الأمريكـــي الصهيونية، هما الشرطان الصـــحيحان لـــبداية النصر، وغياب أي من العنصرين (الإسلامية - المقاومـــة الشـــعبية المســـلحة) كـــان يمكن أن يجعل النصر مستحيلا والصمود مشكوك فيه.

وهكـــذا فقـــد انـــتهى الوهم، وبدأ طريق النصر، والله أكبر ولله الحمد.

العـــزاء الأخير



العزاء الأخير

مدرسة التفاهم مع أمريكا وإسرائيل، والتى تنوعت أفكارها وعناصرها البشرية والفكرية ورموزها السياسية، التى شهدت انتشارا واسعا فى السبعينيات من القرن الماضى وحتى وقت قريب نستطيع أن نقول إنها الآن بصدد إغلاق أبوابها.

بالطبع مدرسة التفاهم مع أمريكا وإسرائيل ليست مصمتة وهى تضم من يدعو إلى تبني النموذج الأمريكى بالكامل والقبول بدور التبعية الكاملة لأمريكا وقبول إسرائيل والتخلى عن الثوابت الدينية والوطنية والقومية والتعامل مع الإنسان العربى ككائن بشرى بلا هوية اللهم إلا المطالب الاقتصادية، وتضم أيضا من يدعو إلى إحداث نوع من التأليف والتلفيق والتركيب بين الثوابت والقيم الأمريكية ومحاولة الحصول على أى قدر ممكن من الحقوق المسلوبة، ومن هؤلاء أيضا من يرى ضرورة إرضاء أمريكا بأى ثمن، وإقناع حكومتها بكل السبل بالتخلى عن دعمها الكامل لإسرائيل ومن ثم الضغط على إسرائيل للانسحاب أو التخلى عن بعض الحقوق الفلسطينية، ومنهم من يصل إلى سب كل ما هو وطنى وقومى وعربى وإسلامى باعتبار ذلك كله هو التخلف و التغنى بكل ما هو غربى وإسرائيلى وأمريكى باعتباره هو العصرنة والتقدم!! وهناك بالطبع أنماط أخرى كثيرة تندرج تحت

هذا العنوان أى مدرسة التفاهم مع الغرب وإسرائيل وأمريكا وقد كانت لهذه الأفكار بعض الوجاهة في بدايتها إلا إنها بدأت تتآكل شيئا فشيئا حتى فقدت مبرر وجودها، وأصبحنا الآن على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

فالذين راهنوا على التفاهم مع أمريكا من اجل الضغط على إسرائيل للحصول على بعض الحقوق العربية والفلسطينية لم يحصدوا إلا الهشيم وقبض الريح، ولم يحصل هؤلاء على شئ، بل اكتشف الكثيرون منهم إن الوقت يعمل لغير صالحهم، فباستمرار تزداد أمريكا تعصبا لإسرائيل وتأييدا ودعما، وجاءت الأحداث والممارسات والمواقف في المحافل الدولية وفي مختلف القنوات العلنية والسرية تقول إن أمريكا اكثر تشبثا باغتصاب الحقوق الفلسطينية من الإسرائيليين أنفسهم، وان هناك تحالفا استراتيجيا من الطرفين، أو يوجد انطباق هندسى كامل بين المواقف وربما لو وافقت إسرائيل على الكف عن العدوان لزجرتها أمريكا وطلبت منها الاستمرار في هذا العدوان، ومع آلاف الضحايا، ومع غبار الهدم ورائحة الدم والتدفق المالى والإعلامى والسياسى الأمريكى والعسكرى أيضا لإسرائيل كان المخلصون من دعاة التفاهم ـــ أى الأبرياء ـــ يكتشفون الحقيقة وهى انه لا أمل في التفاهم، وان المطلوب ليس اكثر من إعادة هيكلة المنطقة والناس والأفكار لتتلاءم مع الخضوع الكامل لإسرائيل وأمريكا، وبالتالى فالمطلوب ليس حوارا وتفاهما بل عملاء يبشرون بالنموذج الأمريكى الإسرائيلى، ووصل الأمر إلى حد المأساة مع تصاعد اليمين الأمريكى الذى يطرح رؤية توراتية ترى ضرورة

سـيطرة إسرائيل على القدس والمنطقة كشرط لعودة المسيح في الألفية السـعيدة!! وهـدا يعنى عمليا تبنى المنطق الليكودى بالكامل، بل اشد أنواعــه تطــرفا وهكذا جاءت كل التصورات الأمريكية لحل المشكلة الفلسـطينية مجرد ترديد لأفكار شارون ونتنياهو لدرجة وصفها أحيانا بأنها كتبت في مقر الليكود وتم إرسالها إلى الرئيس بوش ليوقع عليها!!

ومــع التفسير التوراتى الذى يتبناه حكام واشنطن الآن من أمثال ديـك تشـينى وولفوفيـتز ورامسـفيلد واشـكروفت، هناك المحاولة الإمــبراطورية الأمريكية التى يتفق عليها مع هؤلاء بوش وكونداليزا رايـس وبـأول نفسه، وهى الأفكار التى زادت من الوجود العسكرى الأمريكى فى العالم، وغزت أفغانستان واحتلت العراق، وبالتالى فنحن أمــام دم عربى وإسلامى ينزف بالسلاح الأمريكى بطريقة مباشرة بيد القوات الأمريكية ذاتها أو غير مباشرة بيد الوكيل المعتمد إسرائيل.

ولـم يكن أمام دعاة التفاهم إلا لعب ورقة أخيرة مكشوفة، ولكنها لا تسـمن ، لا تغنى من جوع وهى أن هناك قوى أمريكية واسرائيلية يمكــن الـتفاهم معها بعد تغيير الأحوال السياسية ونهاية حكم الليكود والجمهوريـن واليمين الأمريكى، ولكن هؤلاء يخدعون أنفسهم، فإلى أن يحدث ذلك ـ بفرض صحته ـ يكون العرب قد مات منهم الآلاف وربمـا الملاييـن، وتـم تمزيق المنطقة واصبح الأمر مجرد ذكري، وكذلك فان المجتمع الأمريكى مثلا يريد ذلك، لان انتخابات الكونجرس جـاءت بالجمهوريين بعد آن تبنى الرئيس بوش وحزبه وحكومته تلك السياسـة أى إن الأمـر مراج مجتمع وتفسير دينى مسيحى إنجيلى ـ

مزيف ــ ولكنه يشتد وينمو، وكذلك فإن المجتمع الصهيونى يتجه اكثر إلى اليمين، لدرجة أن المتوقع زيادة عدد مقاعد الليكود ونقصها بالنسبة للعمل، بل إن الانتخابات الداخلية فى كل من الحزبين، جاءت على يمين سارون فى الليكود، وأطاحت بدعاة حل المشكلة بالتفاوض والسلام من أمثال يوسى بيلين فى العمل.

وهكذا لم يصبح منطق التفاهم ممكنا، لم يبق أمام هؤلاء إلا معنى واحد يرددونه، وهو انه ليس بالإمكان مواجهة أمريكا وإسرائيل وحتى لو كان هذا صحيحا، فهل لو استسلمنا مثلا سوف يرحموننا؟ العكس هو الذى يحدث، فالكثير من المذابح حدثت بعد استسلام.

المهم أن المواجهة هى الطريق الوحيد الباقي، وهو طريق ربما يحقق النصر أو فرصة النصر فى المستقبل أو المحافظة على استمرار حيوية الأمة ولو تحت التراب، إما الاستسلام، فهو الموت عمليا، والمذابح، والفقر، وضياع الفرصة إلى الأبد، بل ونهاية امتنا وحضارتنا ووجودنا، ولن يبقى حتى هؤلاء الذين يدعون إلى التفاهم، فلن يكون مرغوبا فى وجود أحد سوى من يقبل أن يكون عبدا للسيد الأمريكى والإسرائيلى وبالتالى فان على مدرسة التفاهم أن تعيد تسمية نفسها بمدرسة العبيد، أو تغلق أبوابها بشجاعة وتقول لقد اكتشفنا إن الأمر ليس كذلك وان أمريكا وإسرائيل لا تريدان التفاهم ولا السلام ولا إعطاء شئ من الحقوق، بل حتى لا يريدون لنا أى نوع من الكرامة والوجود والتقدم والرفاهية، ولو فعلوا ذلك لكفروا عن خطاياهم السابقة فى التطبيع والتدجين والشوشرة على كفاح مدرسة المواجهة والمقاومة

انحطاط حضارة..
أم سلوك فردي؟!



انحطاط حضارة..أم سلوك فردي؟!

يجـــب ألا تنســـينا بشاعة التعذيب في السجون العراقية عمومًا، وســـجن أبـــي غريـــب خصوصًـــا.. أن الجريمة الأصلية هي جريمة الاحتلال الأمريكي للعراق، وأنه من الواجب مقاومة هذا الاحتلال بكل الطـــرق؛ سواء وقع هذا التعذيب أو لم يقع، وسواء تمت محاكمة الذين قـــاموا به وعقابهم أم لم يتم؛ فجريمة الاحتلال هي أم الجرائم؛ بل إن نشـــر صـــور التعذيـــب، وربما محاكمة مرتكبيه هي طريقة أو وسيلة لإلهائـــنا عـــن جـــريمة الاحتلال، ومن ثم التركيز على النتيجة وترك السـببب، وفي الحقيقة فإن الاحتلال يقود بالضرورة إلى إهدار الكرامة والقمـــع والنهب والتعذيب؛ لأن هذا جزءٌ من غريزة الاحتلال، والطبع يغلـــب علـــى التطبع، وكذا فإن القمع والعنف والتعذيب والسادية هي سمات أساسية من سمات الحضارة الغربية، ولا يجب أن ننسى هنا أن الحضـــارة الغربـــية بكـــل إفرازاتها هي التي أفرزت الفاشية والنازية والرأســـمالية والشيوعية والديكتاتورية والعنصرية، وجرائم الحضارة الغربية عموما والأمريكية منها خصوصا أكثر من أن تحصى، وتحتاج إلى مجلدات لرصدها، وهي تشكل المجرى الرئيسي للحضارة الغربية، ولا يعني هذا أنه لا يوجد أفراد وجماعات وقوى تتمتع بالضمير داخل الغرب، ولكنها جماعات وقوى وأفراد هامشية، ولا تشكل عنصرًا هامًا

في اتخاذ القرار الغربي والأمريكي، وبديهي أن الرأسمالية الغربية والأمريكية والمجتمع العسكري الصناعي الحاكم هناك يريد تحويل العالم كله إلى عبيد لصالح مجموعة الرأسماليين والعسكريين الحاكمين، وهو يريد أيضًا تحويل الجمهور الأمريكي والأوروبي نفسه إلى عبيد؛ وبالتالي فهامش التحالف واسع بيننا وبين كل المتضررين من صعود المجمع الصناعي العسكري في الغرب وأمريكا من أبناء أوروبا وأمريكا أنفسهم، ولكن مع الأخذ في الاعتبار أن المسألة بالنسبة لنا مركبة؛ فهي جزء من الاسترقاق والنهب والقمع الرأسمالي، وهي أيضًا تعبر عن وجدان صليبي وعنصري تجاهنا، وقد نجح المجمع الصناعي العسكرى الغربي في خلق وجدان معادٍ للعرب والمسلمين عن طريق آلته الإعلامية الجبارة، وأسلوب التعليم والتثقيف في الغرب.. الذي يحمل بصماتٍ عنصرية وصليبية واضحة.

مذابح وجرائم

جريمة التعذيب في العراق ليست إلا تعبيرًا عن حضارة منحطة.. هذه الحضارة الغربية وصورتها الأمريكية هي التي ارتكبت جريمة إبادة الهنود الحمر "حوالي ١٠٠-٢٠٠ مليون هنديّ"، واسترقاق السود "حوالي ٩٠ مليونَ زنجيٍّ ماتوا في الصيد أو النقل أو العمل الشاق".. هذه المئات من الملايين تمت إبادتها واسترقاقها في وقتٍ كان عدد سكان إنكلترا مثلاً "٣ ملايين" أي: مائة ضعفِ عدد سكان إنكلترا، ولك أن تتصور فداحة الرقم. الحضارة الغربية والوجدان العنصريّ والصليبي فيها هي التي نظمت المذابح في آسيا

وإفريقـــيا وأمـــريكا اللاتينية، وهي التي أنشأت إسرائيل فارتكبت بذلك جريمة تشريد شعبٍ واحتلال أرضه، وهذه الجريمة اتفق عليها اليسار واليمين.. الجمهوريون والديمقراطيون والرأسماليون من مختلف أنواع الطـيف السياســي والفكري في الغرب وأمريكا، وممارسات إسرائيل العنصــرية والقمعية من مذابح، إلى اغتيالات، إلى ضرب مدنيين، إلى اقــتحام قــرىً ومــدنٍ ومخيمات، إلى اعتقال الآلاف، وتدمير الطرق والمــزارع، وســرقة المــياه، وتلويث الماء و الهواء، وقطع الأشجار والمــرافق، وغيرها.. تتم علنًا، وتحت سمع وبصر العالم كله؛ بما فيه أمريكا وأوروبا، بما يعني أن الديمقراطية الغربية المزعومة ديمقراطية عنصرية تتلاشى تمامًا مع العرب والمسلمين، وبما يعني أنه جزء من القـيم الحضــارية الغربــية المنحطة والعنصرية أنها جرائم حضارة مــنحطة.. لا تفهم إلا هذه الصفة، وتنقلها وتزرعها في أبنائها الجهلة، والأمــر بالطــبع مرشــح للمــزيد؛ لأنها غريزة استعمارية وغريزة حضــارية مــنحطة وعنصرية، وقد لاحظنا مثلاً أن حكوماتٍ فرنسية أبــادت وقمعت وذبحت الجزائريين بلا هوادة، ووصلت أرقام الضحايا إلــى ٥٠ ألــف قتيلٍ جزائري عام ١٩٤٥ مثلاً، وتم اختراع وابتكار أشــكال مــن التعذيــب لــم تعرفها البشرية قط على يد المستعمرين الفرنســيين، واســتخدموها مــع الجزائريــن وكذا ما حدث في قلعة "جانجــي" بأفغانســتان، ومــا يحدث في معسكر "غوانتنامو" الأمريكي الموجود في كوبا!!

أسرى جانجي وجوانتانامو

وتعــترف التقارير الأمريكية بأنّها أعطت أوامر بتجهيز المعتقلين

للاستجواب عن طريق الضغط عليهم بالإهانة الجنسية، والتعرية، والكهرباء، والحرمان من النوم، والقيود في الأيدي والأقدام، والضرب، وغيرها.. "اعترفت التقارير بـ ٢٠ طريقة للضغط"؛ بل من المثير أن وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) أعلن جهارًا نهارًا أنه أعطى الأوامر للقوات الأمريكية في أفغانستان بقتل من يحاول الاستسلام من طالبان والقاعدة، وأنه أمر بقتل الأسرى العزل في قلعة "جانجي" بعد احتجازهم!! وهكذا فالسلوك ليس سلوكًا فرديًّا؛ بل أوامر دولة وسلطة، وكذا فالسلوك ليس سلوك إدارةٍ يمينية صنعت من "المسيح" جنرال خمسة نجوم؛ بل وصنعت منه جلادًا، وهو - عليه السلام - بريء من أفعالهم طبعًا.. بل سلوك حضارة منحطة.

ما حدث في سجن أبي غريب وغيره من السجون العراقية، وما حدث من قبل في فلسطين المحتلة وما زال، وما حدث في أفغانستان و"غوانتنامو"- لا يمكن تفسيره إلا بأنها حضارة منحطة، ويعترف النائب البريطاني النزيه (روبرت نيك) بذلك قائلاً:"إن كراهيتنا للعرب والمسلمين ميراثٌ قديم.. لماذا نندهش من العنصرية والوحشية والقسوة تجاه العرب والمسلمين؟! لقد جاء الجنود البريطانيون والأمريكيون من مدن اتخذت من الكراهية موطنًا لها.. فيها المسلمون والعرب إرهابيون وأشرار، وكل الصفات الكريهة تلصق بهم"، ويضيف (روبرت نيك) "هؤلاء الجنود مدمنون لهذه الأفلام والمسلسلات التي تنتجها هوليود، وتتسم بالعنصرية والكراهية تجاه العرب والمسلمين، وتلصق بهم كل التهم من عنف وفسق وقذارة وكذب، وهكذا لم يكن من الصعب أن يتبول بعض البريطانيين على وجه سجين عراقي مغطى الرأس، وأن

يأمر بعض الأمريكيين الساديين رجلاً معصوب الرأس بالوقوف على صندوق مقيد اليدين بأسلاك كهربية، وأن تبلغ السادية مداها في تلك الصور التي تظهر جندية أمريكية، وهي تصوب سلاحها صوب الاعضاء التناسلية لأحد سجناء سجن أبي غريب،.. في محاولة مجنونة للتأكيد على أكاذيبنا التي روجناها بأن هذا وحده هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع العرب والمسلمين" ويضيف (روبرت نيك) "حتى اليوم لا نزال نعرض الفيلم المقزز (أشانتي) عبر محطاتنا التلفزيونية الذي تدور أحداثه حول خطف زوجة طبيب إنكليزي من قبل "تاجر رقيق" عربي، وهو من نوعية الأفلام التي تصور العرب دائمًا بأنهم مغتصبون وقتلة وكذابون ولصوص، وفي الحقيقة - والكلام ما زال لـ(روبرت نيك) - فإننا نصور العرب الآن في أفلامنا مثلما صور النازيون من قبل اليهود، ونتعامل معهم على أنهم إرهابيون، ولا بد أن يذلوا ويضربوا ويعذبوا؛ فالإسرائيليون يلجئون اليوم لاستخدام نفس أساليب التعذيب (التي كان يستخدمها الروس) في تعذيب الفلسطينيين؛ مثلما نتبع نحن نفس الأساليب في تعذيب العراقيين".

الخطأ لا يبرر الخطأ

وتعترف صحيفة (بواشنطن بوسط) بأن الجنود الأمريكيين أجبروا المعتقلين على اللواط لتصويرهم على أنهم همج !!يحاول البعض بالطبع غسيل الممارسات الأمريكية بطرق مختلفة، وهو أمرٌ مستحيل قطعًا، والمحاولة ذات أبعاد متعددة؛ منها - مثلاً - أن يقول البعض أن ما حدث ليس جديدًا على العراقيين، وأنه كان يحدث في

ســجون صدام حسين، وكذلك فإن التعذيب موجود بكثرة في السجون العربــية، وبديهــي أن الخطــأ لا يبرر الخطأ، وكل الممارسات ضد الإنســان مرفوضــة؛ حــتى لو مارسها حكام وسلطات عربية، ولكن أليســت هذه السلطات والحكومات هي صنيع أمريكا ذاتها!! وأن القهر والتعذيب وانتهاك حقوق الإنسان جاء مع التغريب والتبعية اللذين ابتلينا بهمــا في بلادنا العربية والإسلامية، ومن المحاولات أيضًا أن التعذيب الــذي تــم فــي العراق هو مجرد سلوك فردي، وهذه الحجة انهارت بســرعة حيــث اعترف المجندون والمسئولون عن تلك السجون بأنها كانــت أوامــر مــن القادة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن المجندة (سابرينا هارمان) قالت إنها كانت تتلقى الأوامر من ضباط المخابرات العســكرية، ومن بعض المدنيين الذين كانوا يجرون التحقيقات، وأنها كانــت مكلفــة بإهانــة المعتقلين!! وأن أوامر القادة كانت تدور حول حــرمان المعتقليــن من النوم، وإجبارهم على الوقوف عرايا، وتحويل حــياتهم إلــى جحيم، وتجريدهم من ملابسهم، وتكويمهم عرايا بعضهم فوق بعض، وفي شهادة للــ(سير جانت جفال دينيز) قال إن المخابرات العســكرية، ومــن رتــب كبيرة بها قاموا بتعذيب المعتقلين بأنفسهم، وعــندما سألناهم عن مدى أخلاقية ذلك كانت إجاباتهم.. إن لهم قواعد خاصة، وأنه سمع شخصيًا رجال المخابرات العسكرية يأمرون الجنود الأمريكييــن بالاعــتداء الجنســي على المعتقلين، وأنه عندما كان يتم الاعــتداء الجنســي علــى المعتقلين كان رجال المخابرات العسكرية يقولــون للجنود الذين قاموا بذلك لقد قمتم بعمل عظيم، وهناك عشرات الشــهادات الأخــرى التي تضمنها تقرير رسمي أمريكي.. هو تقرير

(أنطونيو تاغوبا)، وكلهم اعترفوا بأن التعذيب كان يتم بأوامر عليا من القـــادة، وأنه كان تعذيبًا بلا مبرر، ولا علاقة له حتى بالحصول على معلومـــات، وهكـــذا فإن الحوادث لا يمكنها تفسيرها بالسلوك الفردي يعنـــي بالطبع أن يقول البعض أنه سلوك إدارة يمينية لا تمثل أمريكا، وأنها من أفعال (رامسفيلد) الأحمق، ويعبر عن هؤلاء الكاتب الأمريكي تومـــاس فريدمان بقوله "نحن مهددون بهزيمة بخسارة تتعدى الهزيمة فـــي العراق.. نحن مهددون بخسارة أمريكا كأداة للمرجعية الأخلاقية، وكمصدر للإلهام في العالم.. إن إدارة بوش تقودنا نحو الكارثة".

جريمة اغتصاب النساء

وفـــي الحقـــيقة فإن ما حدث انحطاط حضارة، وانحطاط إدارة، وانحطـــاط قـــادة عســـكريين، وانحطاط جنودٍ لا يلغي انحطاط إحداها الأخـــرى، وإذا حاولنا أن نفحص ونتأمل الممارسات والانتهاكات التي تمـــت، وأصبحت معروفة بشهادة الشهود، أو الصور.. نجد أنها دارت علـــى نطـــاق واســـع طالـــت حوالي مائة ألف معتقل على حد تقدير مـــنظمات حقوق الإنسان، وأنها لم تكن قاصرة على سجن أبي غريب وحده، وأن من قام بها ليس الأمريكان فقط بل البريطانيون أيضًا، وأن التعذيـــب والقهر طال من هم خارج السجن؛ فهناك عمليات اغتصاب نســـاء بعـــد خطفهـــن سواء عن طريق دهم البيوت وقتل الأزواج، أو تفتـــيش السيارات ثم قتل الأزواج والأولاد واختطاف الزوجات (حالة ســـعدية نور الدين) وهناك اغتصاب سجينات عراقيات داخل السجون، وقد أصدرت السجينات المفرج عنهن بيانًا يؤكد تعرض المعتقلات في

سجن أبي غريب للاغتصاب، وأن بعضهن فقدن عذريتهن، والبعض الآخر يحملن أجنة من حرام في أحشائهن، وقال البيان بالحرف الواحد: "إن المعتقلات تعرضن لاعتداءات جنسية من قبل جنود الكفرة وأعداء الله وأنهن تستصرخن الرجولة والنخوة باسم الدين والعرض".

من أساليب التعذيب أيضًا إدخال نساء عاريات على علماء دين ، وهذا بالطبع نوع قاس من الإذلال والإهانة، ، سكب الماء البارد على المعتقلين وهم عراة، ضربهم بأيادي المقشات والكراسي، وضعهم في سائل كيميائي، واستخدام الكلاب لترويعهم، اغتصاب المعتقلين جنسيًّا، وإجبارهم على اتخاذ أوضاع مشينة، وضع أطواق الكلاب حول رقاب المعتقلين، وجرهم بالسلاسل على الأرض، استخدام الكلاب المدربة لتخويف السجناء، ولا مانع أن تنهش لحومهم، التقاط صور الضحايا الأحياء بجوار جثث القتلى والموتى، التخويف بإطلاق الرصاص والتهديد بالإعدام، لف الرؤوس بأكياس، الضرب في أجزاء حساسة من الجسم، وضع عصا المكنسة في المؤخرة، الوقوف بالأحذية على الأجسام العارية، تصوير السجناء والسجينات عرايا تمامًا وإجبار الرجال على الاشتراك في أوضاع جنسية شاذة، وتصوير ذلك، الإصرار على ارتداء الشباب ملابس النساء وتصويرهم، التعذيب بالكهرباء. وبتحليل تلك الممارسات نجد أن الهدف منها ليس الحصول على اعترافات؛ بل مجرد الإهانة للإهانة، وهو ما يكشف عن عنصرية واضحة، وسادية، وشذوذ؛ فعندما يتبول جندي على معتقل عراقي، ويشعر بالسعادة والابتسام كما جاء في إحدى الصور؛ فإن ذلك يدخل مباشرة في باب التحقير، والعنصرية، وعندما تقوم مجندة

أمريكـية بسـحب عراقي بسلسلة كلاب وهي تبتسم فإن الأمر يرتبط بالإذلال والمهانة والتلذذ بتحويل آدميٍّ إلى حيوان، وعندما يتم تصوير ذلك وإرسال الصور إلى الأصدقاء في أمريكا وبريطانيا فإن الأمر لا يعـبر فـي الحقـيقة إلا عـن انحطاط حضارة، وشذوذها، وساديتها، وإجـرامها، ولـيس هناك تفسير يصلح لشرح تلك الظواهر غير هذا التفسير.. أما المحاولات الغبية لتفسير الظاهرة بشكل جزئي فهو جزء مـن المؤامرة على عقولنا ووجداننا، وإبعادنا عن الاستنتاج الصحيح، وهـو أنـه لا طـريق هـناك سوى المقاومة ضد أمريكا وإسرائيل، والتحالف الشرير في كل مكان وزمان.

إسرائيل
طليعة استعمارية..
أم طبيعة دينية؟

١٢

إسرائيل طليعة استعمارية.. أم طبيعة دينية؟

كـــي نستطيع أن نواجه التحدي الصهيوني الذي مثل ويمثل أكبر الـــتحديات وأخطـــرها بالنســبة لأمتنا وهويتنا وحضارتنا ومصالحنا ومســتقبلنا بـــل ووجودنـــا ذاتـــه، ينبغي أن نعرف طبيعة هذا الكيان المغتصب وتوجهاته.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تعارضا بين نظرتين لفهم طبيعة المجتمع الصهيوني:

الأولـــى: ترى أنه جزء من مشروع الهيمنة الغربية على المنطقة في إطار الصراع الحضاري.

والثانـــية: تـــرى أن المجتمع الصهيوني مجتمع توراتي قائم على الأسطورة الدينية، وأن اليهود؛ بما لهم من نفوذ مالي وإعلامي وغيره، نجحـــوا في السيطرة على صناعة القرار الغربي، فحصلوا على الدعم اللازم لمشروعهم.

والحقـــيقة أنـــه بشـــيء من التركيب يمكن أن نجد أن للمفهومين أصـــلهما التاريخـــي والواقعي؛ فالكيان الصهيوني نشأ أصلاً من رغبة غربـــية اســـتعمارية لإقامـــة كيان أو مجموعة وظيفية في هذه البقعة الحساسة من قلب العالم العربي والإسلامي كجزء من مشروع الهيمنة

العربية في المنطقة، وكحلقة من حلقات الصراع الحضري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية. وتلاقت هذه الرغبة الاستعمارية أو غذت مفهوم الحلم والأسطورة المزيفة لدى اليهود عن حق العودة إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم على أساس التفسير المحرف للتوراة المحرفة أصلاً، أو على أساس الدعاية الدينية اليهودية لجمع يهود العالم في هذه البقعة. وفي الحقيقة فإن الرغبتين والمصلحتين التقتا في محطة تاريخية تمخض عنها قيام هذا الكيان، ويجب هنا أن ندرك أن هناك وجداناً غربياً كارهاً ومعانياً لليهود أصلاً، ومارس الاضطهاد بحقهم طويلاً؛ وبذلك فإن إقامة وطن قومي لهم يحقق هدفين: الأول: هو التخلص من اليهود كزبالة بشرية غير مرغوب فيها في الغرب، ويحقق ثانياً: الاستفادة من هذا الكيان في تحقيق الأهداف الاستعمارية، والكيد للحضارة الإسلامية، وتمزيق وحدة المنطقة، ومنع نهوضها أو تطورها، واستمرار نهبها.

إذن فالكيان الصهيوني هو مشروع غربي في الأساس تم صياغته داخل أروقة المؤسسات الاستعمارية الغربية قبل أن يفكر فيه هرتزل بفترة طويلة. فهناك على سبيل المثال لا الحصر نداء نابليون بونابرت إلى يهود العالم من أجل إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة «سنة ١٧٩٩م» في إطار المشروع الاستعماري في الشرق الذي كان يحكم به نابليون، وهناك دعوة الرئيس الأمريكي (جون آرامز) إلى استعادة اليهود لفلسطين «سنة ١٨١٨م». وهناك مذكرة سكرتير البحرية الإنجليزية إلى وزير الخارجية (بالمرستون) التي يصرح فيها دعوة أوروبا إلى إعادة اليهود إلي فلسطين «عام ١٨٣٩م».

وهناك برنامج (اللورد سافتبري) إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود في فلسطين «سنة ١٨٤٠م». وهناك مشروع «إدوارد تتورد» لإقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة إلى أن تتمكن هذه الدولة من الوقوف على قدميها «سنة ١٨٤٥م». وهناك كتاب (أرنست لاهان) المستشار الخاص لنابليون الثالث في المسألة الشرقية «إعادة بناء أمة اليهود» «سنة ١٨٦٠م». وهناك كتاب «أرض جلفاد» للورنس أوليفنت عضو البرلمان الإنجليزي ووزير الخارجية والذي يقترح فيه إقامة مستوطنة يهودية على مساحة ١,٥ مليون فدان في الأردن وفلسطين «عام ١٨٨٠م». ثم هناك تأسيس بلاكستون في شيكاغو لمنظمة العثبة العبرية نيابة عن (إسرائيل) من أجل حث اليهود على الهجرة إلى فلسطين، ومذكرة بلاكستون إلى الرئيس الأمريكي بنيامين هاريسون ووزير خارجيته جيمس لين بإنشاء وطن قومي لليهود عام ١٨٩١م، وصدور كتاب الدبلوماسي الإنجليزي ولبمر هشلر «إعادة اليهود إلى فلسطين» الصادر عام ١٨٩٤م، كل هذا قبل صدور كتاب تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» الذي صدر عام ١٨٩٦م.

وفي هذا الصدد يقول جمال حمدان في كتابه «استراتيجية للاستعمار والتحرير»، ص ١٦٨: «التقت الإمبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخياً على طريق واحد هو المصلحة الاستعمارية المتبادلة، فيكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة وحليفاً مضموناً أبداً يخدم مصالح الاستعمار؛ وذلك ثمناً لخلقه إياه وضمانه لبقائه، ويقول أيضاً في الكتاب نفسه، ص ١٧٦: «الاستعمار هو الذي خلق (إسرائيل) بالسياسة والحرب، وهو الذي يمدها بكل وسائل الحياة من أسلحة

وأموال، وهو الذي يضمن بقاءهما ويحميها علنا».

ويؤكد (روجيه جارودي) على هذه الحقيقة أيضاً بقوله: «إن الأب الروحي للصهيونية تيودور هرتزل أشعل الرغبة الاستعمارية في خلق (إسرائيل) وقدم لها مسوّغات إقامة هذه الدولة على أساس أنه إذا قامت إحدى الدول الاستعمارية بحماية هذه الدولة اليهودية فسوف تتمتع بميزة على خصومها؛ لأن هذه الدولة ستعتبر رأس حربة مزروعة في المنطقة من أجل التغلغل الاستعماري. وكتب تيودور هرتزل سنة ١٨٩٥م في كتابه (الدولة اليهودية) قائلاً: «ستكون هذه الدولة بالنسبة إلى أوروبا متراسا ضد آسيا، وستكون بمثابة الحصن المتقدم للحضارة ضد البربرية».

وفي محاضرة لروجيه جارودي في ١٣/١٠/١٩٩٦م في فندق الماريوت بالقاهرة قال: «إن (إسرائيل) ستلعب دوراً هاماً في المواجهة الحضارية بين العالم الغربي والعالم الإسلامي نظراً لموقعها الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي».

وإذا كانت هذه هي أهداف السياسة الاستعمارية من خلق (إسرائيل) لتكون وكيلا للاستعمار الغربي وجماعة وظيفية لأداء وتنفيذ أهدافه، فإن القادة الصهاينة لعبوا على تلك النقطة تجاه الرأي العام الغربي وقواه السياسية وأجهزته ومؤسساته الحاكمة، وفي نفس الوقت لعبوا على الأسطورة التاريخية لدى اليهود عن الوعد التوراتي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، سواء كان هذا السلوك من قادة الصهاينة نوعاً من الدجل والدعاية، أو أنه يعبر عن اقتناعهم الحقيقي،

سـواء كان هؤلاء القادة الصهاينة ملحدين أو مؤمنين فإنهم عكسوا في سـلوكهم وتصـريحاتهم وبـنائهم للكيان الصهيوني تفسيراً أسطورياً توراتـياً ـ محـرفاً بالطبع ومزيفاً وكاذباً، فجولدا مائير زعيمة حزب العمـل التاريخـية فـي تصريح لها لصحيفة لوموند الفرنسية ١٥/٥/١٩٧١م تقول: «نشأ هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته؛ ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود».

ومـناحم بيجين «ليكود» يصرح لصحيفة دافار الإسرائيلية، ١٤/١٢/١٩٧٨م بقوله: «لقد وعدنا الرب هذه الأرض، ولنا الحق فيها».

أمـا موشي دايان «ملحد» فيقول: «إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتـبر أنفسـنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة، بلاد القضـاة أرض أورشليم وحيرون وأريحا» جيروزاليم بوست، ١٠/٨/١٩٦٧م.

وهكـذا يتردد دائماً على ألسنة الزعماء الصهاينة نفس المنطق سواء كـانوا مـن اليمين أو اليسار، أعضاء في حزب العمل أو في كتلة الليكود، ناطقيـن باسم الجيش أو الحاخامية؛ فالتوراة ترسم كل شيء في (إسرائيل)، ترسـم ثقافة الأطفال في المدارس؛ فبناء على توجيه دافيد بن جوريون فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في المدارس.

والـزواج فـي (إسرائيل) زواج ديني، ولا يوجد في (إسرائيل) دسـتور؛ لأن الـتوراة هي القانون الأساس للدولة، والتوراة هي التي تعـرّف المواطـن وتحدد من هو الإسرائيلي، وهي ذاتها تحدد حدود الدولـة، بل وتسوّغ الحرب والإرهاب «علينا ألاّ ننسى أجزاء التوراة

التـي تسـوّغ هـذه الحرب؛ فنحن نؤدي واجبنا الديني بوجودنا هنا؛ فالـنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً وهو أن نغزو أرض العدو» حاخام برتبة نقيب، هآرتس، ١٩٨٢/٧/٥م.

والمذابـح من دير ياسين إلى صابرا وشاتيلا تُحِلُها التوراة وتأمر بهـا: «وحرّقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل ومسن وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف» سفر يشوع، الإصحاح ٦ آية ٢١.

وبالطبع فإن هذا الفهم للتوراة ــ وهي محرفة أصلاً ــ هو بدوره فهم مغلوط، والحديث عن الوعد الإلهي في التوراة حديث مغلوط؛ لأن يهـود إسـرائيل أولاً ليسوا هم أبناء اليهود الأوائل من ناحية؛ فهم من يهـود الخزر غالباً، وحتى لو فرض أنهم من أبنائهم فقد فقدوا أهليتهم بسبب عصيانهم التاريخي المستمر لأنبيائهم، ولأنه بعد الإسلام بالذات فـإن الأمة الإسلامية هي الأمة الرسالية، ونحن من ثم أولى من اليهود بإبراهـيم، وإسـحاق، ويعقـوب، ويوسف، وموسى، ويوشع، وداود، وسـليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم ــ عليهم السلام ــ وأن هـؤلاء الأنبـياء وغـيرهم قـد بايعوا محمداً الرسول ﷺ أثناء رحلة الإسـراء والمعـراج عـندما أمّهم في تلك الليلة في الصلاة في بيت المقـدس، وأن موسى وداود، وسليمان وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل لـو بعثوا اليوم ما كان بوسعهم إلا الدخول في الإسلام، باعتباره الدين الحق الحنيف الذي جاء به إبراهيم أصلاً من عند الله، وجاء به النبيون مـن قـبله ومـن بعده، والذي جاء محمد ﷺ ليكون به خاتم الأنبياء، وليكون المسلمون هم ورثة كل وعد إلهي.

والكيان الصهيوني كيان عنصري؛ فهو قائم في تعريف المواطنة وكذا في سلوكه السياسي على فكرة تجميع يهود العالم الذين يُزعم أنهم من اب واحد وكتلة قومية ودينية واحدة، وأنهم شعب الله المختار وبقية العالم عبيد لهم، والديمقراطية الإسرائيلية لليهود فقط.

والكيان الإسرائيلي كيان عسكري وعدواني؛ فـ (إسرائيل) تنفق ٥٠% من ميزانيتها على الجيش، والمؤسسة العسكرية تتحكم في كل شيء في (إسرائيل) تقريبا، وعلى حد تعبير بنيامين نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق «فإن القوة العسكرية مؤسسة لا بديل عنها للمحافظة على أمن إسرائيل. ونظريات السلام مع العرب ونظريات الخلاص اليهودي بالسلام يدلان على رؤية غير واقعية للواقع الإسرائيلي البائس، وعلى أحلام كاذبة تنبع من محاولة الهروب من الصراع المحتوم علينا نتيجة وجودنا فإنه بين الشعوب العربية» بنيامين نتنياهو ــ كتاب «فكان تحت الشمس».

وهكذا فالمفهوم الإسرائيلي للسلام يتلخص في التفوق العسكري والخضوع الفاعل عسكريا وسياسيا من جانب العرب للهيمنة الإسرائيلية، وهذا بالطبع يشير إلى استمرار وجود قوة عسكرية هائلة، واستمرار توجيه ضربات إجهاضية لكل محاولة عربية لامتلاك القوة.

ولأن الكيان الصهيوني جماعة وظيفية أولا لممارسة العدوان لحساب الاستعمار الغربي «الأمريكي حاليا» ولأن حقيقة وجودهم مصنوع وغير طبيعي فإن المجتمع الإسرائيلي الذي قام على سلب حقوق الآخرين يحس بهاجس الأمن أو ما يسمى بعقدة الأمن، وهي

عقدة ناجمة عن شعور إسرائيلي داخلي بأن وجودهم على هذه الأرض غير شرعي ــ ولم تفلح محاولات زرع ثقافة مصطنعة في إعطاء الإسرائيليين الشعور بالانتماء أو المشروعية؛ ولذا فإن المجتمع الإسرائيلي مجتمع معسكر؛ فأنماط المعيشة في إسرائيل «المستوطنات، الكيبوتزات، الموشوفات» وطريقة التجنيد والتعبئة ونظام الاحتياط ووضع المؤسسة العسكرية السياسي من حيث كونها مصدراً للنخب السياسية والأمنية رفيعة المستوى، وأهمية حقيبة وزارة الدفاع في الحكومات الإسرائيلية، ونسبة مخصصات الميزانية العامة الإسرائيلية للاتفاق العسكري، توضح الوضع الذي تمثله المؤسسة العسكرية في (إسرائيل).

ويعاني المجتمع الإسرائيلي أيضا من مسألة عدم تجانس اليهود القادمين من مختلف بقاع العالم، من غرب أوروبا وأمريكا، ومن شرق أوروبا، ومن اليمن والعراق والمغرب وروسيا، والحبشة وغيرها، وكل منهم يحمل ثقافة مختلفة، ولن يفلح الحديث عن الأسطورة التاريخية أو وحدة الأصل اليهودي في صهر هذا المزيج غير المتجانس، وكذلك فإن الوجود العربي الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لإسرائيل؛ فلا هي قادرة أو راغبة على إعطائهم حقوقهم السياسية كمواطنين إسرائيليين ومع تزايد معدلات النمو السكاني الفلسطيني فإن مشكلة ديموجرافية خطيرة ستواجه الكيان الصهيوني.

■ الكيان الصهيوني بعد الحرب الباردة:

إذا كـان الصهاينة قد قبلوا أن يقوموا بدورهم كوكيل للاستعمار الغربـي فـي المـنطقة مقابل السماح لهم بإقامة كيانهم ودعمه ماديا ومعـنويا، فـإن مـرور عشـرات السنين على هذا الكيان جعل قادته يفكـرون فـي التحول من دور التابع إلى دور الشريك الاستراتيجي، وتواكـب فـي تلـك اللحظـة حدوث متغير هام في الصراع الدولي ومعادلاتـه الإقليمية؛ فبسقوط الاتحاد السوفييتي السابق ونهاية الحرب الـباردة، قلّـت أهمـية (إسرائيل) الاستراتيجية بالنسبة للغرب عموما وأمـريكا خصوصا، وتواكب ذلك مع الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة بعد حرب تحرير الكويت ١٩٩١م، أن أمريكا جاءت بجيوشها ولـم تستخدم هذه المرة ــ لأسباب كثيرة ــ الصهاينة كجماعة وظيفية لأداء خدمـات عسـكرية نـيابة عـنها، وهـذا بـدوره قلل الأهمية الاستراتيجية للإسرائيليين، ولكي يعيد الإسرائيليون التأكيد على أهميتهم ودورهـم سـاروا على عدة محاور أولها زيادة التغلغل الصهيوني في الإدارة الأمريكـية؛ وخاصـة الخارجية والمخابرات والدفاع ومراكز البحـث ومؤسسـات صنع القرار الأمريكي عموما بشكل لم يسبق له مثيل على الإطلاق في تاريخ العلاقة بين الطرفين.

ثـم عملـت (إسـرائيل) على تقديم نفسها ليس كتابع لأمريكا بل كحليف استراتيجي ــ مستقل ــ لها، ولو كحليف صغير أو أقل حجما.

يقول شمويل كاتز في بحثه المعنون: «وجهة نظر إسرائيلية للعلاقة الأمريكـية الإسرائيلية»: «ما مدى صحة القول بأن (إسرائيل) تعتمد على

الولايات المتحدة الأمريكية اعتماداً تاماً؟ إنه قول سخيف حتماً لو أخذناه على ظاهره؛ فإذا كانت إسرائيل توصف دائماً بأنها حليف؛ فمعنى ذلك أن هناك بين الولايات المتحدة وإسرائيل حالة من الاعتماد المتبادل لا تقل، بل إنها تزيد في بعض الجوانب عن العلاقة بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية»، ويضيف الباحث الإسرائيلي شمويل كاتز: «لا غنى لأمن أمريكا عن إسرائيل الصديقة، لا بسبب الحقائق الجغرافية السياسية وحدها؛ بل أيضا لأن إسرائيل أصبح لديها القدرة على خدمة المصالح الأمريكية بشكل إيجابي ولا سيما في الشرق الأوسط».

ويطرح كاتز أن علاقة الحلفاء هي الأكثر قبولا بقوله: «ولا شك في أن بالوسع إقامة علاقة صحيحة ومتكافئة كالعلاقة بين الحلفاء بإبرام اتفاق تعاقدي لا يتأثر بالتحيات السياسية ليضمن لإسرائيل أن تحصل لا على منح بل على مقابل للخدمات».

وطرحت (إسرائيل) نفسها بعد الحرب الباردة كذراع قوية وفعالة في مواجهة الصحوة الإسلامية، وإذا كانت دوائر حلف الأطلنطي وأمريكا بالذات قد اعتبرت أن الإسلام هو العدو الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، وأن الصحوة الإسلامية تمثل خطرا على المصالح الأمريكية والغربية قيما وسياسيا وعسكريا، واقتصاديا، فإن (إسرائيل) التي تحس بالخطر ذاته عليها مستعدة للقيام بدورها لحماية نفسها ولحماية مصالح أمريكا والغرب أيضا. كما أكثرت (إسرائيل) من الحديث عن دورها الهام في موازنة الخطر الإيراني المرتقب المتربص بأمريكا والغرب وإسرائيل.

وقد طرحت (إسرائيل) نوعين من التكتيك لخدمة الأهداف الأمريكية بعد الحرب الباردة: الأول طرحه شيمون بيريز زعيم حرب العسل ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق والذي يتضمن سيطرة أمريكا اقتصادياً وكذلك سياسياً وعسكرياً على المنطقة من خلال إدماج المنطقة في تجمع اقتصادي وعلاقات اقتصادية «السوق الشرق أوسطية» تحقق لأمريكا أهدافها، وتكرس سيادتها على العالم والمنطقة، وتكون إسرائيل فيه أكبر الشركاء والقائد الإقليمي للتنمية التي تحقق بدورها من خلال رفع مستوى معيشة العرب نزع فتيل التطرف الإسلامي الذي يستمد مادته من تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة، وفي الوقت نفسه تحقيق نوع من السلام مع العرب يضمن لإسرائيل البقاء في المنطقة كجزء مندمج فيها من خلال شبكة قوية ومتنوعة من العلاقات الاقتصادية مع المحافظة على تقوية الذراع العسكري الإسرائيلي ونزع سلاح العرب؛ أي أن بيريز كان يريد أن يحقق نوعاً من الربط بين (إسرائيل) والعرب يجعل من الصعب على الدول العربية أن تفكر في قطع صلتها بـ (إسرائيل) والتحول إلى علاقة عداء والرؤية الثانية التي تبناها نتنياهو بدلاً من بيريز لرئاسة الوزراء، تقوم على استمرار إسرائيل منفصلة عن الشرق الأوسط وليست مندمجة في نظام شرق أوسطي؛ لأن مستقبل إسرائيل والمصالح الغربية من وجهة نظر نتنياهو يتمحور حول إسرائيل ذاتها وقدرتها على الاحتفاظ بشخصيتها في وسط معاد، وأنه لا توجد وسيلة للتعامل مع هذا المحيط إلا بالقوة والردع والعنف. يقول نتنياهو في كتابه «مكان بين الأمم»: «السلام الوحيد الممكن تحقيقه بين العرب و

(إســرائيل) هــو السلام الذي يعتمد على ردع العرب، هو سلام حذر ومسلح يوفر لإسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن التفكير في استمرار الحرب».

وفــي الحقــيقة فــإن (إسرائيل) قد نجحت بوسائل عدة في إقناع واشنطن بأسلوب التحالف بدلاً من أسلوب التابع؛ واصبح هناك انطباقا كاملاً بين البلدين

١٣

التشكيك في المقاومة

التشكيك في المقاومة

ترتفع من آن لآخر نغمة التشكيك في جدوى المقاومة العراقية أو الفلسطينية أو أي مقاومة ، ومن الغريب أن مفردات التشكيك وأساليبه وأهدافه واحدة ؛ بل هي نغمة تتكرر بصورة رتيبة ومملة وداعية للازدراء .

إذا أخذنا المقاومة العراقية مثلاً ؛ نجد أنه تم التشكيك ابتداءً في إمكانية اندلاع هذه المقاومة ، وكانت الأسباب تدور حول أن الشعب العراقي قد فقد قدراته وحيويته بسبب الديكتاتورية ، أو أنه مرحب فرح بالغزو والاحتلال الأمريكي الذي خلصه من الاستبداد، وسيفتح أمامه طريق الديمقراطية والرخاء ؛ ولكن الذي حدث أن المقاومة العراقية اندلعت بأسرع مما يتصور أكثر المتفائلين تفاؤلاً ، وتصاعدت وأثبتت وجودها ؛ بل حولت حياة الاحتلال وجنوده إلى جحيم. ومرة أخرى يتم اتهام المقاومة بأنها مأجورة لصدام حسين ، الذي يعطيها من الأموال التي اختلسها من أموال الدولة ، وحتى لو كان هذا صحيحًا – وهو غير صحيح-؛ فالأمر لا يدعو إلى النقد ، بل الفخر لأن من الأفضل إنفاق تلك الأموال على مقاومة الاحتلال ، بدلاً من تركها لتنهبها سلطات الاحتلال ، ثم إنه ليس هناك أفضل ولا أشرف من الإنفاق على مقاومة المحتل ودعم نضال شعب ما ، وبديهي أن حجم

المقاومـــة ونوعية عملياتها وأساليبها لا يمكن أن تكون إلا تعبيرًا عن إرادة شـــعب وكرامة أمة ، وليست قدرات وأموال فرد ، فلما سقطت هذه الفـــرية بعد أن تم القبض على صدام حسين ، وروج وقتها المرجفون أن المقاومة ستموت بالسكتة القلبية؛ فإذا بها تتصاعد كمًّا ونوعًا .

لما استمرت المقاومة وسقطت الأوهام حول طبيعة المقاومة كان لا بـــد لدوائر التشكيك أن تبحث عن أسلوب آخر ومنطق آخر وحجج جديـــدة، وهي أساليب وحجج اتسمت بطابع الهجوم الاستراتيجي، أي التشـــكيك في المقاومة وفي ترحيب الشعوب بها، وفي طريقة التغطية الإعلانية لها وفي أهدافها ومستقبلها.

فلأن جماهير العالم الإسلامي والعربي محبطة وعاجزة ومقهورة ومغلوبـــة على أمرها؛ فهي ترحب بالمقاومة وتفخم من أعمالها وتعلق الآمال عليها ، وهذا ليس صحيحًا تمامًا؛ فالترحيب بالمقاومة ليس فقط مـــن مـــنطق الإحـــباط ، بـــل من منطق التضامن العربي والإسلامي والوجـــدان المعـــادي للاستعمار والمفعم بحب المقاومة والاستشهاد ، ووســـائل الإعـــلام العربية في منطق المشككين هي بدورها بالغت في أعمـــال المقاومـــة ووفـــرت لها تغطية فوق العادة ، وذلك كنوع من إرضـــاء الجمهـــور المتلقي واجتذابه والعزف على أوتار الإحباط بقوة أكثر من أن تسمح به الظروف والإمكانيات أو الواقع ومعطياته ، وأن هـــذه المبالغة يمكن أن تنقلب إلى العكس وتتسبب في مزيد من الإحباط إذا مـــا انحســـرت أو تراجعت المقاومة أو إذا عجزت عن تحقيق ما تصبوا إليه من أهداف ...

المقاومة تفرض نفسها

ومنطق المشككين هنا يستخدم الكذب والخداع وعدم الترابط وافتراض أشياء غير حقيقية والبناء عليها وعلى غيرها من الأساليب المراوغة ؛ فوسائل الإعلام العربية في مجملها تقدم أقل القليل عن المقاومة ، وليس المبالغة ؛ بل إن أخبار المقاومة تفرض نفسها فرضًا على تلك الوسائل، ولا يمكن بأية حال من الأحوال اتهام أمريكا وحلفاءها وعملاءها وأحزابها ومفكريها وكتابها وصحفييها بالعجز المالي أو المادي لدرجة أن تحدث مبالغة عكسية مثلاً في أخبار المقاومة . واهتمام وسائل الإعلام بأخبار المقاومة هو عمل مهني بحت فليس هناك خبر أو موضوع يمكن أن يكون أهم من المقاومة في تلك الظروف. إن مسألة رد الفعل العكسي إذا ما انحسرت المقاومة أو عجزت عن تحقيق أهدافها منطق يخالف منطق المقاومة وفلسفته تمامًا، والمقاومة أولا وأخيرًا تندلع من أجل الكرامة، وليس حولها وهم إمكانية الانتصار السريع، والوجدان العربي والإسلامي لا يربط الجهاد والنضال بالنصر فهو إما نصر أو شهادة، ولكننا مع ذلك نثق أن المقاومة يمكن أن تضع اللبنات الأولى ليس لانتصار شعب العراق؛ فقط بل للصمود العربي والإسلامي بالكامل.

منطق المشككين يعزو الحماس الجماهيري للمقاومة بأن أعداء أمريكا في المنطقة يروجون للمقاومة لأنها وسيلتهم لإلحاق أكبر قدر من الخسائر بالأمريكيين، وينسى هؤلاء المشككون أن الاتحاد السوفيتي قد سقط، وبالتالي فإن العداء لأمريكا في المنطقة ليس لحساب طرف

ثـــان، بـــل هو بسبب ونابع من الممارسات الأمريكية ضد شعوبنا، بل أكـــثر مـــن هـــذا فإن المدينين بالحماس للاتحاد السوفيتي والمنظومة الشـــيوعية الســـابقة هم الآن أكبر مروجي الخضوع لأمريكا والتحالف معهـــا والتـــبرير لها والترحيب بها، أما أعداء أمريكا فهم كل الشعب العربـــي والإسلامي باستثناء أصحاب المصلحة أو الحكام لا أكثر ولا أقل!! .

مـــن وسائل التشكيك في المقاومة العراقية الحديث باستمرار عن الموضـــوع الطائفي والعرقي ، واستخدام أرقام قد تكون صحيحة وقد تكون مبالغ فيها ؛ فحسب هؤلاء أن العراق يضم مجموعة من الأعراق والأديان وأن الأكراد الذين يبلغون ٢٠% من السكان رحبوا بالاحتلال ويتحالفون معه ، والشيعة الذين يقدرهم هؤلاء بـــ٦٠% قبلوا بالتعاون مـــع الأمريكان وشاركوا في مجلس الحكم الانتقالي الذي شكله الحاكم المدنـــي الأمريكـــي "بـــول بريمـــر". وهناك الأشوريون والكلدانيون والمسيحيون والتركمان وإن الذي يقاوم فقط هم جزء من العرب السُّنة أي جـــزء مـــن أقل من ٢٠ % أي لا يمكن أن تصل نسبة المرحبين بالمقاومـــة إلى ١٠%.... ولأن المقاومة تحتاج مثل السمك إلى الماء، أي إلـــى احتضـــان جماهيري؛ فإن غياب هذا الاحتضان الجماهيري سيجعل المقاومة تحتاج إلى إمدادات بالأموال والأسلحة.

ولأن المال والسلاح المتوافر حاليًا سينفد سريعًا؛ فإن من الصعب استمرار المقاومة.

أرقام غير صحيحة

وبدايـــة فإن الأرقام التي فاقت دوائر التشكيك ترددها هي أرقام ليست صـــحيحة تمامًا، والتعامل مع العراق كأعراق وأديان فقط أمر تنقصـــه الدقة؛ فالكرامة الوطنية والإسلامية تهم الجميع عربًا وأكرادًا وســـنة وشيعة، وحتى لو سلمنا جدلاً بأن هناك فقط ١٠% من الشعب العراقـــي الذيـــن يرحبون بالمقاومة؛ فإن معنى ذلك أن الجحيم ينتظر الأمريكان وأن مستقبل المقاومة عظيم ومشرف، لأنه إذا كانت مقاومة تســـتند إلـــى ١٠٪ فقـــط من السكان قد استطاعت أن تحقق هذا القدر الهـــائل مـــن الـــنجاح وأنزلت كل هذا الحجم من الخسائر في صفوف الأمريكان وحلفائهم وغيرت عمياتها بالشجاعة والجرأة الذكاء والدقة ، فمـــا بـــالك لو شارك كل الشعب العراقي أو قطاع واسع منه ، وهذا أمر بالطبع مرشح للحدوث؛ لأن الاحتلال ستنفضح أهدافه مع الوقت ، وستتآكل الأحلام والأكاذيب حول دوره التحريري ، وعقدة الاستبداد أو الاضـــطهاد الطائفي ستقل مع الوقت طبعًا. وهكذا فإن تردي الأوضـــاع المعيشـــة والبطالة في العراق مرشحة للزيادة، وكلها عوامل ستزيد في المقاومـــة والترحيـــب بها، ثم إن الأجندة الأمريكية ستصطدم حتمًا مع طموحـــات زعماء الشيعة والأكراد، ولابد أن نفصل بين أحلام وأوهام قـــادة أكراد أو شيعة، ومطالب ومشاعر الجمهور الكردي أو الشيعي، خاصـــة أن الشـــيعة عرب، والأكراد سنة وأن العرب السنة هم قاعدة التلاحم، فهم عرب مع الشيعة وسنة أحناف مع الأكراد والحقيقة أنه لا يمكـــن فهـــم مـــدى التعاطف والتلاحم والاحتضان الذي يكنه الشعب

العراقي حاليًا للمقاومة ورجالها؛ إلا أن ذلك لا يقتصر على نسبة الـ ١٠% المزعومة، بل لا بد أنه يضم قطاعًا واسعًا من الشعب رغم أنف القيادات الطائفية. وإلا أمكن لتلك المقاومة أن تحقق مثل هذه العمليات المتميزة ضد الوجود الأمريكي والإنجليزي والأسباني والإيطالي والبولندي والياباني وهلمّ جرًا !! ولما أمكنها أن تستخدم المدفعية والصواريخ ومضادات الطائرات والعمليات الاستشهادية والعربات الملغومة ، وتلغيم الطرق والوصول إلى مقر قيادات القوات أو المعسكرات شديدة الحراسة لولا الاحتضان الشعبي غير العادي.

وأما مسألة أن الأموال والأسلحة اللازمة لاستمرار المقاومة فهي أراجيف مردود عليها؛ لأن المقاومة هي التي توفر السلاح بطرقها الخاصة، والقول بأن وجود السلاح والمال هو الذي يصنع المقاومة؛ فكيف إمكانيات ١٠% من السنة قد وفرت كل هذا الكم من السلاح والمال؟! وكيف يا ترى يكون عندما ينخرط الشعب في المقاومة بعد تآكل الأوهام والأحلام؟!! والمقاومة أولاً وأخيرًا إرادة وليست أسلحة وأموالاً، فالمقاومة تعبر عن إرادة شعب ، وليست حرب بين جيشين مثلاً ، ووسائل المقاومة عادت بسيطة ولكنها مؤثرة وهي تعتمد أولاً وأخيرا على الإنسان أكثر من اعتمادها على السلاح والذخيرة.

وصاية الاحتلال الأمريكي

من أراجيف المشككين أيضًا أن القوى السياسية المؤثرة في العراق لا تريد أن ينسحب الأمريكان، لأنها تدرك أن الوجود الأمريكي في العراق حاليا يحمي العراق من حرب أهلية، ومن التحول إلى

صــومال آخــر؛ وبالتالي فإنها سوف تتشبث بالوجود الأمريكي، وهو كــلام يثــير الغيظ أكثر ما يثير التأمل؛ فلو كان حال القوى السياسية العراقــية كذلــك لكان عليها أن تغلق أحزابها وتتصرف ما دامت غير قــادرة علــى الحــوار والتعايش وليس أن تتشبث بالأمريكان وتمسك بذيلهــم..، ولا يمكــن الفهم أن بلدًا عريقًا كالعراق لا يمكن أن يعيش بــدون احتلال!! وأيًا كان البديل فإن الاحتلال مرفوض ولتكن المشاكل مــا تكون فإنها سوف تنتهي يوما ويعبر البلد مشاكله ويعبر بأي ثمن؛ أمــا أن يظل تحت وصاية الاحتلال فهو أمر لا يليق بأحد أن يقوله أو يفعله أو يؤمن به.

ويــروج المشككون أيضًا أنه رغم ما يقرب من العام على اندلاع المقاومــة فإنه لا يوجد بيان أو وثيقة تحدد برنامج المقاومة وتصورها لشــكل الحكــم والمستقبل بعد إخراج الاحتلال، وأنها مقاومة بلا قائد واحــد يمكــن أن يلــتف الشــعب حوله ، وأن افتقاد المقاومة لهذين الشرطين فإنها ستنهار حتمًا ...

والحديث عن عدم وجود قائد معروف للمقاومة ، فهذا يرجع أولا إلــى أنهــا تتكون من العديد من الفرق السياسة والوطنية والإسلامية ، يجمعهــا جمــيعًا الرغبة في التخلص من الاحتلال والدفاع عن الوطن والكــرامة وبديهــي أن تكــون هــناك جماعات كثيرة وقيادات كثيرة متوســطة ، وأن اســتمرار المقاومة سيجعلها تصل إلى ذلك الشرط . وحتى لو لم تصل إلى ذلك فهو ليس شرطا مقدسا لا يمكن لمقاومة أن تــتواجد بدونه ، وليس شرطا تطبيق تجارب معينة وتعميمها على كل

النماذج والتجارب. إن عدم وجود وثيقة تحدد البرنامج وشكل الحكم بعد الاستقلال ، فهذا هراء ينبغي ألا تقع فيه المقاومة الآن ؛ بل ن، وثيقتها الوحيدة والممكنة حاليا وبرنامجها الذي لا برنامج سواه هو مقاومة الاحتلال بكل الوسائل والطرق حتى يندحر ويزول وبعدها لكل حادث حديث .

محيط المساندة للمقاومة

بقي أن نرصد تلك الذريعة الممجوجة حول أن تلك المقاومة لا تملك تغييرا إقليميًا ، مثلما كانت فيتنام مثلاً حيث كان هناك محيط معاد للأمريكان ومتعاون مع المقاومة الفيتنامية مثل كامبوديا ولادس وروسيا والصين ، فضلاً عن الدعم الدولي من المنظومة الاشتراكية والأحزاب الشيوعية ، وهذه حجة لو كانت صحيحة لكانت لصالح المقاومة العراقية؛ فإنها رغم هذا الظرف غير المواتي اندلعت سريعا وصمدت وتصاعدت وأنجزت، ولكن بالإضافة إلى ذلك فإن المحيط الشعبي العربي والإسلامي منحاز للمقاومة ، وهو أفضل من الدعم الحكومي أو الرسمي غير الموجود والذي كان سيفرض على المقاومة توازنات تؤثر عليها سلبا ، كما أن المقاومة تحظى بدعم عالمي من كل المستضعفين في العالم ، وهم الأغلبية ، ومن كل القوى المناهضة للعولمة والمناهضة لأمريكا والمناهضة للمشروع الصهيوني في الهيمنة على العالم .

١٤

الفلوجة
تكتب المستقبل

الفلوجة تكتب المستقبل

ليس هناك مكان في العالم أجمل من الفلوجة، وليس هناك مدينة عربية في جمال تلك المدينة الساحرة، وليس هناك من المجاهدين أو المناضلين من ترتفع قامتهم إلى قامات رجال الفلوجة ولا نسائها ولا أطفالها.. تقف الفلوجة -مدينة المآذن الشامخة- المجاهدة بين مدن مثل حطين وعين جالوت وترتبط بحبل سري بجنين، ولذا فإن المناضلين الفلسطينيين الذين خرجوا في مظاهرات تضامن مع المقاومة العراقية كانوا على حق حين قالوا إن بغداد هي القدس والفلوجة هي جنين، وإذا كانت جنين هي مدينة الصمود والملحمة في وجه الاجتياح الفلسطيني فإن الفلوجة تجاوزت كل المدن الرائعة والجميلة، ونحن لا نقلل من جهاد أهل جنين وبطولاتهم ولا الثمن الغالي الذي دفعوه من الشهداء والجرحى والمباني المهدمة والألم والحصار، ولكن للفلوجة سياق آخر ومذاق آخر؛ إنها صمدت أمام أكبر آلة عسكرية استكبارية في التاريخ.. لم تقاتل وتقتل الكثير من الأمريكيين فقط ولكنها استعصت على السقوط زمنا أطول من أي زمن آخر ومكان آخر، ولذا فإن الفلوجة عروس المجاهدين وقلعة الإسلام ومفخرة العرب في كل زمان ومكان. الفلوجة هي المكان الأكثر زخما في المقاومة العراقية منذ بدأت هذه المقاومة، وليس في الأيام الأخيرة فقط، وكانت الفلوجة دائما

هـــي ترمومـــتر المقاومة ومقياس الصمود العراقي أمام جحافل الغزو الأمريكـــي البغـــيض.. الفلوجـــة هي أكثر الأماكن العراقية حتى الآن اشتباكا مع الأمريكان أو تكبيدهم الخسائر، وتكاد تكون المدينة العراقية الوحـــيدة المحررة منذ بدأت المقاومة؛ حيث دائما ما اضطرت القوات الأمريكـــية إلى الخروج منها والاستقرار في مواقع خارج المدينة منذ وقـــت طويل، وهي المدينة التي قدمت كل أنواع المقاومة من مهاجمة قوافل العدو أو إسقاط مروحياته أو حرق مركباته أو عمل كمائن على الطريق...الخ.

مديـــنة الفلوجة التي يبلغ عدد سكانها ٢٠٠٠٠٠ نسمة استطاعت أن تهـــزم أمـــريكا.. نعـــم تهـــزم أمريكا؛ لأنها استعصت دائمًا على الخضوع لأمريكا وقوات أمريكا ولنا أن نتصور مقاومة أهالي الفلوجة -المديـــنة الصغيرة- إذا تكررت في كل مكان بالعراق؛ فإذا كان عدد سكانها ٢٠٠٠٠٠ أي حوالي ٨% من عدد سكان العراق، أي أن سكان ومـــدن العراق لو فعلت مثل الفلوجة لخرج الأمريكان بعد يوم واحد؛ حيث لا طاقة لهم بهذا النوع من المقاومة ولا تحمل مثل تلك الخسائر، وهكذا فإن المثلث السني العراقي هو رأس المقاومة وعمودها الفقري، والفلوجة هي ذروة سنام المقاومة بلا منازع؛ ولذا فإن الحقد الأمريكي علـــيها لا يوصف، وهذا يوضح ويبين لماذا تعرضت الفلوجة للحصار والضرب بطائرات الـــ "إف ١٦" والهليوكوبتر وبالدبابات والصواريخ وبكل شيء تقريبًا.

بداية السقوط الأمريكي.

الفلوجة تكتب المستقبل بالفعل لأن مثل المقاومة العراقية هو الفعل العربي الإسلامي النبيل الأكبر والأبرز، والفلوجة هي عنوان تلك المقاومة، وعلى المستوى العراقي؛ فإن الفلوجة هي من رفعت هامات العراقيين، وأعادت إليهم العزة والفخار والاستعلاء، ولذا فهي قاعدة المستقبل والاستقلال للعراق، وعلى المستوى العربي والإسلامي؛ فإن الفلوجة هي عنوان المقاومة العربية والإسلامية ضد المشروع الأمريكي، وهي الجزء الحي في الجسد العربي مع أجزاء أخرى طبعًا، ولكن الفلوجة هي الأكثر حيوية؛ وبالتالي فإن إعادة الحيوية إلى الجسد العربي الإسلامي وإقلاعه من وهدة الانحطاط والمرض يبدأ من الفلوجة، ولن يكون غريبًا أن يقرأ أحفادنا في المستقبل المتوسط أو البعيد أن عصر العالمية الإسلامية الثانية بدأ من الفلوجة، أو أن المنحنى الإسلامي الذي كان هابطا قبل ظاهرة المقاومة العراقية قد بدأ انقلابه باتجاه الصعود من جديد في مدينة الفلوجة الباسلة بدءًا من عام ٢٠٠٣- ٢٠٠٤؛ بل يمكن أن يؤرخ لبداية السقوط الأمريكي ونهاية مشروع الاستكبار الدولي والمخطط الصهيوني الأمريكي على أرض الفلوجة، وانطلاقا منها، وهكذا فالفلوجة هي رمز عراقي ورمز عربي ورمز إسلامي ورمز عالمي له شأنه وأي شأن.

ومن البديهي أننا لن نفعل مثل الآخرين ونبكي على الفلوجة وشهداء الفلوجة والمجازر الأمريكية في الفلوجة وقصف المساجد

والمبانــي وتدمـير البيوت والأشجار والمدارس.. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتحققوا الكرامة والعزة بدون شهداء وضحايا؟!

فريضة الدم

ومهمـا كـان عـدد الشهداء والضحايا والخسائر والآلام؛ فإنها فريضـة الدم والاستشهاد وهي فريضة لابد منها؛ بل هي شرط النصر والصمود والصعود والإقلاع -بإذن الله تعالى-.

وإذا كانت جنين وأمثالها هي النموذج لقدرة الإنسان على مواجهة الآلـة؛ فإن الفلوجة هي الأكثر وضوحًا والأعمق في هذا الإطار لأنها مديـنة صـغيرة "٢٠٠ ألـف نسمة" وهي تواجه أكبر قوة غاشمة في الـتاريخ وليس بعد أمريكا قوة حتى الآن، وبالتالي فإن درس الفلوجة هو الدرس الأوضح الذي لا يمكن بعده أن يكابر أحد أو يغالط أحد في أنـنا أمة قادرة على المواجهة والصمود، وأن أصغر قرية في العالم وبـالذات العـالم العربي والإسلامي لأسباب حضارية وثقافية ودينية مرتـبطة بالجهـاد والاستشـهاد قادرة على مواجهة أمريكا والصمود أمامهـا؛ بل وإنزال أكبر الأذى بأمريكا، وبالتالي؛ فإنه يمكن أن نؤرخ بمـا قـبل الفلوجة، وما بعد الفلوجة حيث ستصبح نموذجًا يقتدى لكل المـدن والقـرى والجماعات البشرية الطامحة إلى مواجهة الاستكبار الدولـي ومناهضـة أمـريكا..إن الفلوجة هي عزنا جميعًا؛ ولذا فهي تسـتحق الدعـم العراقي والدعم العربي والدعم الإسلامي؛ بل والدعم العالمـي لأنهـا اخـتارت لنفسـها أن تكون رأس الرمح في مشروع المقاومة والنهوض العراقي والعربي والإسلامي والعالمي.

مفاوضات خاطئة

من العناوين الخطأ والممارسات الخطأ يمكننا أن نرد ما سمي بوفد المفاوضات العراقي الذي تكون من بعض أعضاء مجلس الحكم الانتقالي -ذراع أمريكا في العراق- أو بعض المنتسبين للأحزاب الإسلامية أو بعض علماء الدين ورغم ما يمكن أن يقال عن حسن النية في هذا الصدد؛ فإن الوساطة والمفاوضات هنا هي الطريق الخطأ ذلك أن الفلوجة حين اختارت طريق الجهاد والمقاومة؛ فإنها كانت تعرف أنها صعدت الجبل والطريق الصعب، وأن الفلوجة حين فعلت ذلك لم تكن تتصرف كرد فعل - مثلا- على اعتقال زعيم ما، أو البحث عن مقعد في مجلس الحكم أو طلب إصلاحات أو مكاسب فئوية أو غيرها، ولكنها كانت هي المبادأة بالجهاد والثورة؛ وبالتالي فبأي وساطة وعلى أي أرضية يمكننا أن نتحدث عن هدنة صحيحة أو خاطئة؟ وهذه الهدنة في رأينا هي ما يحتاجه الأمريكان لالتقاط الأنفاس وإحضار المزيد من التعزيزات؛ وبالتالي فالوساطة بهذه الطريقة مهما كانت النوايا طيبة هي ممارسة غير صحيحة؛ وتفتقر إلى الرؤية الاستراتيجية الصحيحة، وإن كان لا بد من جهد فهو جهد الدعم بلا حدود ولا شروط وإشعال الأرض تحت أقدام الأمريكان في كل مكان بالعراق لتخفيف الضغط على الفلوجة وليس شيئا آخر.

ارفع رأسك فأنت في الفلوجة

تكتب المدن عادة في مداخلها مرحبًا بك في مدينة كذا ولكن الفلوجة وحدها وهذا من حقها كتبت في مداخلها "ارفع رأسك فأنت في

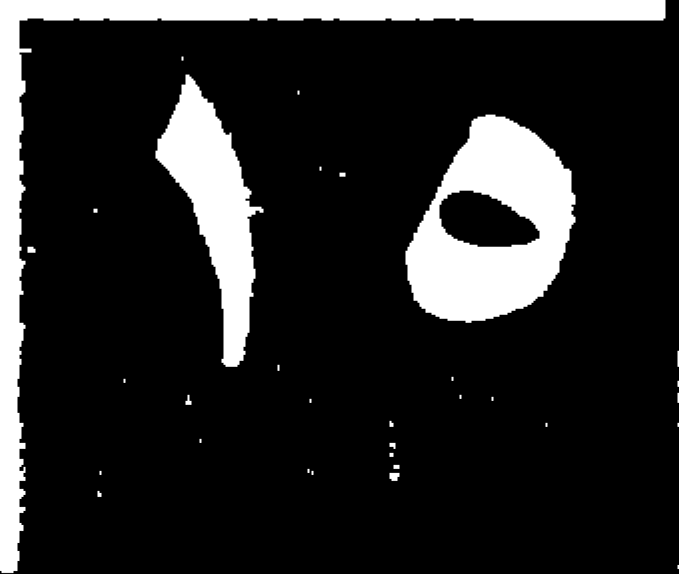
الفلوجـــة" ومن حق الفلوجة أيضًا أن يصفها الكتاب والصحفيون الذين كتـــبوا عـــنها بأنهـــا قلعـــة الأسود أو أن تصفها صحيفة "الجارديان" البريطانـــية بأنها مقبرة الأمريكان، وإذا كان الأمريكان قد اعترفوا بـــ ٧٠ قتـــيلـًا وعدد أكبر من الجرحى في مواجهة ٦ أيام فقط في الفلوجة وإذا كانـــت العـــربات والدبابـــات والطائرات المروحية المحطمة في مداخل الفلوجة وحولها وداخلها كلها تشهد بشراسة المقاومة ونجاحاتها الهائلـــة؛ فإن ظهور المقاتلين في الفلوجة يمسكون المصحف الشريف بـــيد والبندقـــية أو أي ســـلاح باليد الأخرى هو دلالة هامة على البعد الإســـلامي والعقـــائدي في الصراع ضد أمريكا، وهو شرط ضروري للصمود والانتصار.. فمن العناوين العلمية البحتة -وفقًا لعلوم السياسة والاجتماع- فان طبيعة التحدي وطبيعة العدو وطبيعة المعركة تقول إن غـــياب العـــامل الإســـلامي في أي مواجهة كفيل بفشلها؛ لأن طبيعة المعـــركة تفرض ذلك بالإضافة إلى مدد الله تعالى الذي يأتي للمؤمنين المجاهديـــن الذيـــن بذلـــوا كل الجهد، والحديث عن مدد الله تعالى في الفلوجة أصبح حديثًا متواترًا لدرجة أنه حتى الصحف ذات الميول غير الإســـلامية باتت تعترف به، وتنقله على لسان المقاتلين في الفلوجة من قبيل الأمانة الصحفية. وقد رصدت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقـــروءة أن الأمهـــات يحرضن الأولاد على الجهاد ضد الأمريكان ويدفعـــنهم قائلات: "اذهب وعاون أباك..اذهب قرب أخيك.. الله أكبر.. إلـــى الجهـــاد لقتل وطرد الأمريكان" والمساجد كلها تكبر وتدعو إلى الجهاد وتقرأ سورًا من القرآن الكريم، وخطبة الجمعة في الفلوجة ومنذ فترة طويلة كانت بمثابة الشرح السياسي لبرنامج المقاومة العراقية في

كــل العــراق، وليس في الفلوجة وحدها، وقد تم اعتقال أكثر من إمام وخطيب وشيخ في الفلوجة على يد قوات الاحتلال منذ بدء المقاومة .

وهكذا فإن المواقف كلها تقود إلى المقاومة والصمود الناجح، ولم يكــن غريــبًا أو عجيــبًا أن تصل التعزيزات بالآلات من قوات العدو لتشديد الحصار على الفلوجة ومحاولة اقتحامها.

بعــد صــمود الفلوجــة كل هذا الوقت حتى لو سقطت لا يمكن الحديــث عــن القضــاء على المقاومة العراقية، وبعد ممارسات أهل الفلوجــة ومــا صدر عنهم من مواقف وبيانات وخطب جمعة لا يمكن الحديث عن أن مشروع المقاومة هو مشروع حرب أهلية أو طائفية أو مســألة إعــادة الــنظام الســابق أو إعادة الديكتاتورية أو غيرها من محاولات تشويه الوجه الجميل والمضيء للمقاومة، وإذا كانت الفلوجة معــروفة بمدبــنة المساجد، وعلماؤها من أبرز من شارك في الثورة العراقــية ضد الاحتلال الإنجليزي في عشرينيات القرن الماضي فإنه حري بها أن تحمل شعار المقاومة والصمود .

الحركة الإسلامية
أولويات إستراتيجية وتكتيكية



الحركة الإسلامية .... أولويات إستراتيجية وتكتيكية

الأمة لم ترتد عن دينها لكنها في حالة هزيمة.

-أثبتت الخبرات والتجارب أهمية بناء وعي إيجابي لدى الشعوب الإسلامية لتحقيق النهضة المنشودة.- الأولويات الاستراتيجية للمسلمين تدور حول التصرف كطليعة.

إذا اعتبرنا أن الحركة الإسلامية هي ضمير الأمة ، وهي التعبير الصحيح الوحيد عن هذه الأمة ، باعتبار أن الإسلام هو دين الأمة وعقيدتها ، وهو أيضًا المكون الأساسي في ثقافتها وحضارتها وبالتالي ، فهو التعبير عن وجدان جماهيرها -مسلمين وغير مسلمين-؛ فإن تحديد أولويات هذه الحركة هو شرط أساس لمواجهة التحديات وإنقاذ الأمة من الانهيار وفتح الطريق أمامها للمستقبل .

بداية فإن على الحركة الإسلامية أن تعرف نفسها تعريفًا صحيحًا لاعتبارها طليعة للأمة وخميرة للنهضة وليست بديلاً عن الأمة بمعنى أن عليها أن تدرك أن المنوط بالتغيير والمواجهة هو كل الأمة وليس قطاعًا واحدًا منها -مهما كبر حجمه- وإذا تصرفت الحركة كبديل عن الأمة أو بالانعزال عنها ؛ فهي تتحول بالضرورة إلى سرطان في جسد الأمة، والأمر أشبه هنا بخلايا شديدة النشاط والحيوية، إذا أخذت بيد

باقـــي خلايا الجسد وقامت بتنشيطها معها وزيادة حيويتها صح الجسد وشـــفي، أما إذا نشطت منفردة ومنعزلة فهي تكون بمثابة سرطان في جسـم الأمـــة؛ وهكذا فإن الأمر أشبه بنظرية الخميرة في اللبن.. فإذا نشطت الخميرة داخل اللبن تحول إلى زبادي –وهو المطلوب–، أما إذا نشطت الخميرة خارج اللبن فهي تتحول إلى وباء وتكاثر بكتيري ضار أو علـــى الأقـــل لا قيمة له، وبديهي هنا أن الأمة هي اللبن والحركة الإســـلامية هي الخميرة، وتحقيق نهضة الأمة هو الزبادي. وهكذا فإن فكرة الجماعة البديلة، أو الجماعة الأم، أو الصف الطويل أو القصير؛ هي أفكار جزئية تحقق عكس المطلوب.

أمة في حالة هزيمة

يجـــب إدراك أن الأمـــة لم ترتد عن دينها؛ بل نحن أمة في حالة هـــزيمة تكنولوجية، والفجوة التكنولوجية بيننا وبين أعدائنا كبيرة جدًا ، لا يمكـــن جبر هذه الفجوة على المدى القصير والمتوسط؛ بل إن توهم تحقـــيق ذلـــك أدى إلى كثير من الخسائر والوقت الضائع ، ولعل هذا يدفعنا إلى إعادة النظر في الأهداف والأولويات وشكل الحركة ، فبناء مؤسســـة قوية أو جيش قوي أو حتى دولة قوية أو جماعة قوية ...الخ هـــو نـــوع مـــن الوهـــم لأن هذا لن يتحقق لأننا في معركة مع أعداء شرسين لن يسمحوا بداهة بذلك، والمؤسسة القوية أو الجماعة القوية أو الدولـــة القويـــة أو الجـــيش القـــوي ...الخ عرضة للضرب والتفكيك بسهولة.

ولعل تجاربنا القريبة والبعيدة تثبت ذلك ، بل المطلوب بناء وعي

إيجابي لدى كل الجماهير بمعنى التركيز على الإنسان والجماهير وليس المؤسسة والقوى المادية؛ لأن الإنسان هو سلاحنا الرئيس في معركة المصير "سلاح الاستشهاد والمقاومة" وهو سلاح أثبت فاعليته في كل المواقف والمواقع بدءًا من مقاومة الحملة الفرنسية في مصر سنة ١٧٩٨ إلى مقاومة القوات الأمريكية في العراق الآن ، ومن سنن الله تعالى أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا . وكذلك في طريقة بناء الحركات يجب أن يكون الإنسان الطليعة ــ الخميرة ، وليس التنظيم والجماعة والأدوات ، وحتى على مستوى نمط التنمية يجب التركيز على التنمية الأفقية وليس الرأسية ، والتنمية المعتمدة على الإنسان المحلي والسوق المحلي والخامات المحلية وليست القائمة على أكتاف التكنولوجية ، وهذا يحقق هدفين: أولاً تشغيل الطاقات الإنسانية بدلاً من الآلية ، وعدم قدرة الأعداء على ضربها . وننوه هنا بالتنمية الزراعية والرعوية والصناعات الخفيفة.

يجب إذًا أن ندرك توصيف حالتنا الراهنة ؛ فنحن أمة صعد المنحنى الحضاري لها بدءًا من الرسالة وحتى وقت طويل ، ثم ثبت هذا المنحنى ثم بدأ في النزول منذ قرنين إلى ثلاثة قرون ، ويجب أن ندرك هذا أولاً ونعترف به ، ولا نتصور أنفسنا مازلنا في عصر الدولة العباسية حيث كان الخليفة يقول للسحابة في السماء "أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك"، وبعد إدراك ذلك نعمل على تقليل سرعة نزول المنحنى ثم نوقف نزول المنحنى ثم نعمل انقلابًا في اتجاه المنحنى ثم نبدأ الصعود من جديد، وهذا يقتضي سلوكًا فكريًا وحركيًا متميزًا يمكن أن نطلق عليه اختصارًا "فقه الإقلاع" .

وبـــدون إدراك ذلك والمرور في تلك المراحل فإن الجهد سيضيع والطاقات ستهدر والتضحيات بلا جدوى تستمر.

جهد حركي متجدد

بالطـــبع فـــإن روشـــتة الحل وتحديد الأولويات تحتاج إلى جهد مضـــني وعمل من قطاع واسع من المفكرين والحركيين ، وبديهي أن ذلـــك الجهـــد وتلـــك الاقتراحات لا يمكن أن يتسع لهما مقال ولا حتى كـــتاب ولا يمكـــن أن يضطلع به فرد مهما كانت قدراته ، ولكنه جهد تراكمـــي مـــن أفراد وهيئات وحوارات وندوات ومقالات وكتب، وقبل ذلـــك وبعـــده جهد حركي متجدد ومتجاوز وغير تقليدي ، ولكن – من وجهة نظري – والله تعالى أعلم ؛ فإن مفتاح كل ذلك يتلخص في فعل وكلمـــة "الجهاد" ... الجهاد ضد المشروع الأمريكي الصهيوني وليس ضـــد بعضـــنا بعضًا ، وتقديم هذه الأولوية على غيرها . والجهاد هو الـــذي سيفجر الوعي ، الوعي باللحظة وأبعادها وأولوياتها ومهماتها ، وهو الذي سيفجر التقوى في النفوس؛ فمن أراد أن يعرف ويعلم ويتعلم فلـــيجاهد، ومـــن أراد أن يتقي الله ويعبده أكثر فليجاهد، ومن أراد أن يتقدم صناعيًا أو زراعيًا أو علميًا أو فنيًا فليجاهد، والله تعالى يقول في كـــتابه العزيـــز: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(العنكبوت:٦٩)، والرســـول ﷺ يقول: "ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا" . وهكذا فإن الجهاد في سبيل الله أولا وثانيًا وأخيرا .

ولعلـــه من المفيد هنا أن نتحدث عن وصفة قرآنية لحالتنا المعاصرة وبالتالـــي طـــريقة حـــل المشكلة ، يقول الله تعالى في كتابه العزيز وهو

أصدق القائلين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾(المائدة:٥١ـ٥٢) .

الايـات إذًا تتحدث عن الحالة التي نحن بصددها، وهي الموالاة والتحالف بين اليهود والنصارى "إسرائيل وأمريكا والعرب" ، وهو أمر لم يحدث تاريخيًا إلا في الخمسين أو المائة سنة الأخيرة. والآية تحدد لنا الطريق الصحيح وهي عدم موالاة الإسرائيليين والأمريكيين والغرب ؛ بل وتنصح المغتربين والمنبطحين ، وتحدد موقفهم بدقة تليق بإعجاز القرآن الكريم ، فهم ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾(البقرة:١٠) ويقولون لا نستطيع أن نواجه أمريكا أو إسرائيل لأن هناك خلل في ميزان القوه ، وأننا لو فعلنا ذلك سوف نصاب بكارثة وخسائر ضخمة (نخسى أن تصيبنا دائره)، والحل من عند الله تعالى ؛ فإذا بذلنا الجهد كله في الجهاد والمواجهة ، ولم نوال أمريكا والغرب وإسرائيل ، فإن مدد الله موجود ، ومسألة هي إحدى أهم الأولويات التي يجب أن تركز عليها الحركة الإسلامية . وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة وهو ليس دعوة للتواكل؛ بل على العكس دعوة للإيجابية والمواجهة وعدم الخرف، لأن المدد لا يأتي إلا بشرط بذل كل الجهد ، وبذل كل التقوى ، أي أنه دعوة للعمل على مستوى العبادة والعمل الدنيوي معًا ، وهو طريق صد الخضوع مهما بلغت قوة الأعداء؛ لأن الإيمان بالمدد الإلهي يجعل المؤمن وجماعة المؤمنين لا تحسب المسألة حسابًا بسيطًا

بــل حســابًا مركبًا تدخل فيه قدرة الله تعالى ومدده ، وبالتالي فالخوف مرفوع لأننا نستند إلى أقوى الأقوياء، القادر على كل شيء .

وهكذا فإن الآيات تفتح باب الأمل ، فيمكن أن يحقق النصر بفعل إلهي مباشر ، أو تتعطل آلات الأعداء الجبارة، أو يقيض الله للأمة من أمـــثال الاستشـــهاديين والمقاوميـــن في فلسطين والعراق ويوقعوا من الخســـائر في صفوف الأعداء ما لا قبل لهم به ، فينسحبون ، وعندئذ يصبح الذين في قلوبهم مرض نادمين .

الأولويات الاستراتيجية تدور إذًا حول التصرف كطليعة ، وحول إعـــادة الاعتـــبار إلـــى المقاومـــة والمواجهة والجهاد ، وليس الصف والتربـــية وانـــتظار الفرص ، وعدم موالاة الغرب وأمريكا وإسرائيل وعـــدم المرونة معهم على أي مستوى كما يحدث من بعض الحركات الإســـلامية ، إدراك بُعـــد الهزيمة التكنولوجية والتركيز على الإنسان وليس المؤسسة .

وهـــناك بالطـــبع أولويات تكتيكية كثيرة جدًا ، وهذه متغيرة يومًا بعد يوم وعلى الحالة الإسلامية إدراكها وفهمها والتعاطي معها شريطة ألا تكون على حساب الأولويات الاستراتيجية .

العداء للسامية
الأصل والصورة

١٦

العداء للسامية الأصل والصورة

ظهـر مصـطلح العـداء للسامية لأول مرة عام ١٨٧٩ على يد الصـحفى الألمـانى الـيهودى فيلهيلم مار عندما أصدر كتابا بعنوان انتصـار الـيهودية علـى الألمانية وكانت تلك الفترة قد شهدت أحداثا اقتصادية ومضاربات عقب الحرب الفرنسية البروسية أدت إلى إفلاس كثـير مـن الأغنياء الألمان فى بروسيا وفرنسا وعدد من دول شرق ووسـط أوروبـا، وحمـل الأوروبيون وقتها المسألة والمسئولية على الـيهود، الذيـن تـم اتهـامهم بـأنهم مـتآمرون، وبدأت سلسلة من الاضـطهادات ضـدهم، وفى الحقيقة فإن الاضطهاد الأوروبى لليهود شـكل مسـاحة كبيرة من التاريخ الأوروبى لأسباب كثيرة لعل أهمها الـروح العنصـرية الأوروبـية الـتى لا ترى الحق فى الإنسانية إلا للأوروبي، والاضطهاد الأوروبى والعنصرية الأوروبية لم تطل اليهود وحدهـم بل طالت المسلمين والزنوج والهنود الحمر، فالعنصرية جزء لا يتجزأ من الوجدان الأوروبى والقيم الحضارية الأوروبية.ولعلنا نفهم المسـألة إذا أدركـنا أن حرب الاسترداد المسيحية الأوروبية للأندلس إسـبانيا والبرتغال شهدت اضطهادا وإبادة لكل مسلم ويهودى على حد سـواء، وقـد اسـتمرت تلك العملية بصورة أو أخري، ولكنها طالت الـيهود فـيما بعـد أكـثر لأن هؤلاء ظلوا كأقليات فى بعض الدول

الأوروبية، ولعل تاريخ روسيا العنصرية وألمانيا النازية مفعم بحوادث الاضطهاد تلك، فى حين أن اليهود عاشوا فى بلاد مثل إيران واليمن والعراق ومصر والمغرب وليبيا وغيرها من البلاد الإسلامية بدون أى مشاكل من أى نوع، وحصلوا على امتيازات وثروات فى طول البلاد الإسلامية وعرضها حتى قيام إسرائيل حين فضل عدد منهم بسبب الغباء والتضليل الهجرة إلى إسرائيل، ولكن من بقى منهم فى إيران أو المغرب أو مصر أو العراق أو غيرها ظل يتمتع بحقوق المواطنة وروح التسامح الإسلامى المعروف حتى اليوم.

استخدمت الجماعات الصهيونية والموالون لها مصطلح العداء للسامية لترعب به كل من ينتقد اليهود أو الإسرائيليين أو الصهيونية، وذلك عندما بدأ التحالف الغربى الصهيونى المعاصر، ولكن حقيقة المصطلح والمشاعر مخالفة لما يستخدم فيه، والصورة المستعملة تخالف الأصل تماما.

العداء للسامية فى حقيقته هو عداء عنصرى أوروبى ضد كل الجنسيات السامية من عرب ويهود وغيرهم، وهو جزء من العنصرية الأوروبية المعروفة، ويمكن لأى متابع للثقافة الأوروبية فى كل عصورها بما فيه ما يسمى بعصر الاستنارة والتنوير أن يكتشف جذور وملامح تلك العنصرية ومنها العداء للسامية بالطبع، بل إن الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى موسوعته عن اليهود واليهودية والصهيونية أثبت أن الألمان الذين كانوا يقتلون اليهود فى الحقبة النازية كانوا يستخدمون كلمة المسلمين للدلالة على هؤلاء اليهود وهو ما يكشف مضمون العداء

للسامية، وكذا فإن الكاتب الفرنسى هانوتو عام ١٩٠٠ قد زعم فى حواره مع الشيخ محمد عبده أن هناك عيوبا أخلاقية مثل الكسل فى الجنس السامى على عكس الآرمى لأسباب تتصل بالعقائد، ورد عليه الشيخ محمد عبده مفندا ذلك ومدافعا عن العرب والمسلمين واليهود.

فى إطار الروح العنصرية والعداء للسامية حاول الأوروبيون التخلص من اليهود فى أوروبا ـ كزبالة بشرية ـ فنشأت فكرة، إنشاء وطن لهم فى فلسطين لتحقيق هدف التخلص منهم، ولاستخدامهم كجماعة وظيفية تقوم بدور الوكيل عن الغرب ـ ثم أمريكا ـ ومفرزة عسكرية متقدمة ورأس جسر للغرب فى قلب العالم العربى والإسلامى لمنع نهضته والكيد له وضربه كلما كان ذلك مطلوبا على يد هذه الجماعة الوظيفية، وهكذا نشأت فكرة الصهيونية أو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فى أروقة أجهزة المخابرات ودوائر وزارات الخارجية الأوروبية منذ نابليون بونابرت الذى دعا إلى ذلك فعلا وحتى وعد بلفور ١٩١٧، وقد تلقف عدد من اليهود غير المتدينين الفكرة ودعوا إليها بدءا من هرتزل ١٨٩٧ وانتهاء بوايزمان وبن جوريون حتى تأسست الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ وهكذا فإن الذين تلقفوا الفكرة من اليهود الصهاينة إنما ساعدوا الغرب وكانوا أداة له للتخلص من اليهود فى أوروبا والنكاية فى العالم العربى وتحويل هؤلاء اليهود الصهاينة إلى جماعة مرتزقة تقوم بدور العدوان لحساب الغرب، وهكذا فإن إنشاء دولة إسرائيل فى حد ذاته هو نوع وتجسيد للعداء للسامية وأحد إفرازات هذا العداء وأكبر تجلى له، وقد أدرك هذا الأمر عدد من اليهود غير الصهاينة الذين رفضوا قيام إسرائيل ولا

يـزالون يدعـون إلى إزالتها، ورفضوا الفكرة الصهيونية من أساسها باعتـبارها فكرة معادية لليهود واليهودية وأوامر الرب على حد سواء، والأمـر كذلك بالفعل، ولعل جماعة ناطورى كارتا بمن فيها من يهود وحاخامات خير مثال على ذلك.

نحـن كعـرب وكمسـلمين لسنا معادين للسامية، لأننا لن نعادى أنفسـنا، بـل العداء للسامية فى جوهره موجه لنا نحن، وإسرائيل هى التجسـيد الأكـبر للعـداء للسامية، وهكذا فإن النضال من أجل إزالة إسـرائيل هو جوهر ومضمون النضال ضد فكرة العداء للسامية ونحن أيضـا لسنا معادين لليهود واليهودية، لكم دينكم ولى دين ، ومطالبون بالعدل مع غير المسلمين والتسامح معهم ولكننا فى نفس الوقت شديدو العـداء للإسرائيليين وكل من يعيش فى فلسطين المحتلة من اليهود ما عدا اليهود من أصل فلسطينى وهم عدة آلاف فقط وندعو اليهود الذين يعيشـون فـى فلسـطين المحتلة إلى مغادرتها والعودة من حيث أتوا، وندعو الدول العربية والإسلامية إلى فتح أبوابها لعودة من يريد العودة مـن الـيهود مـن إسـرائيل للعيش فى تلك البلاد وذلك لحل المشكلة الفلسـطينية ومن لا يريد أن يترك فلسطين لأهلها، فإنه يستحق بالتالى القـتل وهـو مجرم وسفاح، ومغتصب، وهكذا فنحن ندعو إلى الكفاح المسلح لتدمير إسرائيل وتدمير هذا الكيان الاستعماري، ونؤيد العمليات الاستشـهادية ضـد كـل إسرائيلى فى فلسطين المحتلة، لأنه ببساطة مغتصـب يستحق القتال والقتل، ولن تسقط عنه صفة المغتصب ما لم يرجع من حيث أتى أو أتى آباؤه ويترك فلسطين لأهلها الشرعيين.

لا يعنيـــنا بالطبع مناقشة ما إذا كان اليهود حقا يتآمرون على الشعوب ويســتحقون بالـــتالى الاضطهاد الذى وقع عليهم، أم أن ذلك كان نوعا من العداء الوجدانى الداخلى المتصل بالمسيحية أو غيرها لليهود بسبب موقفهم من المسيح، كما لا يعنينا إن كانت البروتوكولات المنسوبة لهم صحيحة أم ملفقـــة ولا يعنينا الحديث عن موضوع استخدام دم مسيحى لفطير صهيون يـــوم عيد الفصح، أو غير ذلك مما يقال عن اليهود، الذى يعنينا أننا نرفض الظلـــم الـــذى وقع على أى إنسان حتى لو كان يهوديا، ونقبل أن يحاكم كل من يتآمر على شعب من الشعوب وينال عقابه فردا كان أو جماعة، ويعنينا أيضــــا أن ندافـــع عن حقوقنا المشروعة فى فلسطين بكل الوسائل بما فيها العملـــيات الاستشـــهادية ضد كل ما هو إسرائيلى وفى كل مكان فى العالم، ويعنيـــنا أن نفهـــم أن إســـرائيل فكرة صهيونية، وإفراز غربى أيضا وألا تخدعنا تصريحات هنا وهناك عن حقيقة أن إسرائيل مجرد عصا يمسك بهـــا الغـــرب وأمريكا لقمعنا ونهبنا والقضاء على حضارتنا وربما وجودنا وأنـــه يجب تحطيم العصا ومن يحملها أيضا، وأن المعركة طويلة وصعبة وقاســـية، وفـــى كل الأحوال نحن ضد العنصرية ولا نقبل أن نمارسها أو يمارســـها أحد علينا أو على غيرنا، وضد الظلم والعدوان وضد المشروع الصـــهيونى الأمريكى الغربى الذى هو معاد للسامية فى جوهره، وليس من العـــدل ولا الإنصـــاف ولا المصلحة لنا أن نتورط فى الدفاع عن هتلر أو الفـــرح بتصريحات لوبان ضد اليهود أو غيرها من الممارسات العنصرية الأوروبـــية لأنها تشملنا أيضا.وهكذا فإن العداء للسامية كان هو السبب فى ظهـــور إســـرائيل ودعمها واستمرارها، لأن العداء للسامية وجدان غربى موجه ضد العرب والمسلمين قبل اليهود.

زوال إسرائيل
نبوءة قرآنية
وحتمية تاريخية

١٧

زوال إسرائيل نبوءة قرآنية وحتمية تاريخية

هــل هو إغراق فى التفاؤل كرد فعل على حالة شديدة الصعوبة والقســوة تمــر على المنطقة وعلينا.. أم هو نوع من خداع النفس أو الأمــانى الحلــوة فــى الأيام المرة، أم نوع من الهروب من مواجهة تحديـات ضــخمة تمثلها جيوش وبواخر وأسلحة ودمار وقتل وترويع وتدخل سافر فى شئوننا وصل إلى حد تحديد ما نتعلمه وما لا نتعلمه.. أم هو نوع من التشبث بالأمل حتى لا نستسلم لليأس؟

ليس هذا ولا ذاك.. بل هو الحقيقة إن شاء الله، فإذا كنا نؤمن حقا بالقــرآن الكريم، فإن النبوءة القرآنية تتحدث بالفعل عن زوال إسرائيل ﴿ وَقَضَــيْنَا إِلَــى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُــنَّ عُلُــوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِــي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُــمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَــنْتُمْ أَحْسَــنْتُمْ لأَنْفُسِــكُمْ وَإِنْ أَسَــأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُــوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾(الإسراء: ٤ــ٧)

وإذا كان القرآن الكريم يتحدث عن زوال إسرائيل فإن هذا يصل إلى درجة اليقين المطلق لدى كل مسلم، وهو يقين مفيد لجعله لا ييأس أبدا مهما اختل ميزان القوي، ومهما كانت الظروف الدولية والإقليمية صعبة، لأن الله تعالى الجبار المتعال القادر على كل شيء، والأكبر من كل قوة هو الذى وعد بذلك ووعده الحق إن شاء الله تعالي، وبالتالى فإن استمرار المقاومة بكل أشكالها، ومهما كانت الصعوبات هو الطريق الصحيح والمشروع والمتفق مع المنهج القرآني، وهذا فى حد ذاته إحدى علامات النصر إن شاء الله.

زوال إسرائيل أيضا حتمية تاريخية، ذلك أن إنشاء دولة إسرائيل هو على عكس حركة التاريخ والجغرافيا، وهو نوع من تثبيت جسم غريب في كائن حي يرفضه، ومهما كانت قوة اللصق والتثبيت فإنها ستنتهي يوما، وهذه المنطقة العربية الإسلامية، منطقة شديدة العمق حضاريا وثقافيا، وذات كثافة سكانية عالية ولا يمكن بكل الوسائل والطرق ولا حتى بالإبادة تفريغ المنطقة من السكان، أو تفريغها من وجدانها الثقافى والديني، ولأن المنطقة هى أعمق مناطق العالم ثقافة، فهى ستلفظ بالضرورة هذا الجسم الغريب، وإذا كان الغرب قد أراد أن يتخلص من المشكلة اليهودية بإنشاء إسرائيل، وليستفيد منها فى نفس الوقت كمغرزة عسكرية متقدمة ضد قلب العالم العربى والإسلامي، فإنه أيضا كان يدرك أن المنطقة لن تقبل ذلك، لا بسهولة ولا بصعوبة، ولم يكن هذا يهم الغرب بالطبع، فلسان حاله يقول فليذهب العرب واليهود معا إلى الجحيم، ولأن اليهود أغبياء فقد بلعوا الطعم، ومارسوا غدرهم وحقدهم على المسلمين بلا هوادة، ولكن ذلك أيضا لن يفلح فى

تثبت كيان مفتعل وملفوظ جملة وتفصيلا.. مهما كانت القوة العسكرية الإسرائيلية، ومهما كانت قوة الدعم الأمريكية والغربية للكيان الصهيوني، ومهما كانت وسائل الترهيب فلن تفلح فى القضاء على مقاومة الجسم العربى الإسلامى ولا القضاء على مناعته فى مواجهة هذا الجسم الغريب، ومهما كانت قوة التضليل وغسيل المخ وقوة الإغراءات والمشروعات لإقناع الشعوب بقبول التعايش مع إسرائيل لو التخلى عن الهوية والثقافة أو تفسير الإسلام تفسيرا جزئيا أو مغلوطا فإن ذلك لن ينجح بل هو أحد المستحيلات والله متم نوره ولو كره الكافرون .

المنطقة العربية والإسلامية وتحديدا قلبها فلسطين، ليست منطقة خالية من السكان، ولا خالية من الثقافة، بل هى عميقة وكثيفة حضاريا وبشريا، بل ربما هى الأعمق والأكثف فى العالم، وهكذا فإن زوال إسرائيل حتمية حضارية، قد ينجح الضغط فى تثبيت مؤقت لذلك الكيان، قد يتورط حاكم أو مجموعة بشرية أو دولة أو حتى جيل بأكمله فى التعايش المستحيل مع إسرائيل، ولكن هذا ضد منطق الأشياء ولن يستمر طويلا.

هذه الحقيقة بدأ يدركها مفكرو وقادة العدو الصهيونى أنفسهم، فهم يتحدثون عن وطن بلا مستقبل، أو أنهم أخذوا أكبر مقلب أو خازوق على حد تعبير أحد الشعراء الصهاينة فى استقباله لأحد المهاجرين الجدد قائلا له: تعال وأجلس على الخازوق مثلنا .

المقاومة هنا شرط لازم لزوال إسرائيل.. والمقاومة قد اندلعت

بـالفعل وامتلكت الطريق الصحيح، بل وأفررت ظاهرة رائعة وهى العمليات الاستشهادية.. وهذا سلاح لا يمكن القضاء عليه، لقد تمت عمليات استشهادية فى جميع أنحاء فلسطين المحتلة، فى الجليل، وتل أبيب ويافا وعكا وفى الضفة وغزة، وضد مستعمرات شديدة الحراسة وضد مستوطنين مسلحين، وضد كتائب الجيش الصهيونى ذاتها تمت هذه العمليات فى جميع الأحوال والأوقات، وهذا يعنى أن كل الاستخبارات والتحصينات والأقمار الصناعية ووسائل التكنولوجيا الحديثة والقديمة لم تكن حائلا دون استمرار هذه العمليات، لا إمكانات الجيش الصهيونى ولا الجيش الأمريكى ولا محاولات السلطة، ولا الضغوط الدولية ولا حالة الهجوم الإعلامى المستمر على تلك العمليات ووصفها بالإرهابية، ولا محاولات إرهاب الشعب الفلسطينى وترويعه، ولا الاغتيالات ونسف البيوت ولا وحشية شارون من قبله ومن بعده ولا الأسوار والأطواق الأمنية حالت دون استمرار ونجاح تلك العمليات، والقيمة الكبرى لتلك العمليات ليس فى مدى ما تحدثه من خسائر فى صفوف العدو، بل بما تبثه من رعب فى نفوس الإسرائيليين وما تحدثه بالتالى من خلل فى المجتمع الإسرائيلي، بل ما تحققه من نسف لفكرة الصهيونية ذاتها، لأن الفكرة الصهيونية بالنسبة لليهود الصهاينة هى التجمع فى مكان آمن وطن قومى بعد أن عانى اليهود من الاضطهاد العنصرى فى أوروبا تحديدا!! وهذا بالطبع ليس ذنب العرب والمسلمين الذين يعاملون غير المسلمين بمن فيهم اليهود معاملة تليق بالعدل الإسلامى والأوامر الشرعية الإسلامية، ولعل ممارسات التاريخ القديم والحديث تؤكد ذلك، المهم أن الغرب نجح فى إقناع

اليهود بأن فلسطين ستكون مكانا آمنا بالنسبة لهم، فهى أرض بلا شعب، ومنطقة سوف تقبل بهم بالقهر والإغراء، وهى أيضا ترجمة للتفسير المحرف للتوراة أو التلمود، ولكن جاءت حقائق التاريخ والجغرافيا والثقافة والمقاومة لتقول العكس، فالشعب الفلسطينى موجود، وهو لن يفرط فى أرضه، وهو يمتلك أعلى نسبة خصوبة قادرة على إحداث توازن سكانى باستمرار مهما استمرت عملية الإبادة الصهيونية، والثقافة العربية الإسلامية عميقة الجذور لن تسمح بقبول دائم لإسرائيل فى المنطقة، والنص القرآنى والمفاهيم الإسلامية الثابتة منتشرة بقوة فى المنطقة المحيطة، وهذا معناه استمرار الدعم المادى والمعنوي، بل وخروج الاستشهاديين من غير الفلسطينيين من العرب والمسلمين، والممارسات الإسرائيلية والأمريكية فى المنطقة تدفع الشعوب دفعا إلى إدراك أن الجهاد والمقاومة ليست فقط فريضة شرعية بل هى ضرورة حياتية وطريق بلا بديل وإلا فالموت والخضوع وفقدان الكرامة.. وبذلك كله وبغيره كثير، أصبحت فلسطين أقل الأماكن فى العالم أمانا بالنسبة لليهود وهذا ينسف فكرة الصهيونية من جذورها، وهكذا فإن المقاومة فى الحقيقة والتى وصلت إلى حد مطاردة الإسرائيليين فى بيوتهم ومطاعمهم ونواديهم ومستوطناتهم وثكناتهم العسكرية، بل وخارج فلسطين ذاتها فى كينيا على يد فدائيين ليسوا فلسطينيين، بل مسلمين ينتمون إلى تيارات عربية أخري، هذه المقاومة تقول إن فكرة الوطن الآمن فكرة مزيفة، وأن على يهود إسرائيل أن يعيشوا فى خوف ورعب دائم، وإذا كان الأمر بالنسبة للإسرائيلى مفهوما حين يقوم بالقتال من أجل إنشاء وطن واستمراره

وتثبيته، فهذا لا يكون إلا لفترة محدودة وبتضحيات معينة، أما أن تتحول المسألة إلى قلق وخوف دائمين، واستنفار مستمر وقتال بلا نهاية منظورة فهذا فوق الطاقة، وإذا كان ذلك هو قدر العرب والمسلمين، لأن هذه بلادهم وليس لهم بلاد غيرها، فإن ذلك ليس حتميا بالنسبة ليهود إسرائيل، لأنهم يمكنهم العودة من حيث أتوا أو أتى آباؤهم، وبديهي أن حلم الاستقرار والتمتع بمباهج الحياة حلم كل إنسان، وخاصة الأجيال الجديدة في إسرائيل، وهكذا فالمقاومة نسفت الفكرة الصهيونية، أما سيناريو زوال إسرائيل فهو مجرد تفاصيل.

تفسخ وانهيار المجتمع الإسرائيلي من الداخل، وشيوع حالة الخوف والفزع لدى الإسرائيليين أحرص الناس على حياة وتشقق فكرة الصهيونية ذاتها أمر أصبح محسوسا ومعروفا وترصده مراكز الأبحاث، بل يراه أي مفكر موضوعي داخل إسرائيل أو خارجها، بل إن تقريرا أعدته لجنة مشتركة من الكنيست ومجلس الوزراء الإسرائيلي عام ٢٠٠٢ وجاء بعنوان الواقع في إسرائيل يصل إلى نفس النتيجة وهو أن الأمور لو سارت بنفس الطريقة فسوف ينهار المجتمع الإسرائيلي من الداخل خلال ٢٠ عاما وأنه لابد من علاج الموضوع.. وبديهي أن تلك أمانيهم، فالعلاج موضوعيا وحضاريا واستراتيجيا مستحيل، المهم أن التقرير يتحدث عن أن المقاومة والانتفاضة تسببت في عجز في الميزانية بلغ ٣٠% من عام ٢٠٠٠ وحتى الآن سنويا، وأن الميزانية العسكرية تستهلك ٦٠% من عائدات إسرائيل القومية، وإذا كان علاج ذلك ميسورا عن طريق ضخ الأموال لإسرائيل من أمريكا أو الدول التي صنعت إسرائيل وتستفيد منها مثل أمريكا حاليا،

فــإن عــلاج الخوف والفزع الإسرائيلى لا يمكن أن يتم لا عن طريق أمــريكا ولا غيرها، يتحدث التقرير أيضا عن أن ٣٠% من المواطنين لديهــم رغــبة أكــيدة فــى مغــادرة إسرائيل، وأن ١٣% من الأسر الإسرائيلية ترفض الإنجاب، وأن معدل المواليد انخفض بنسبة ٥,٢%، وتقــول الأســر الرافضــة للإنجــاب برغم توفر المقومات الشخصية والاقتصــادية لذلــك إنهــا لا تريد إنجاب أطفال ليموتوا وأن أحدا فى إســرائيل لا يضمن الآن العودة إلى أطفاله سالما أو عودة أطفاله إليه مــن المدرسة سالمين!!، ويرصد التقرير حالة الهروب من الجيش أو رفض الخدمة فى الأراضى المحتلة وتدنى حالة الشعور بالوطنية لدى الجــيل الجديد الذى يعبر عن رغبته فى العيش بأمان وأنه من الصعب اســتمرار الــتوتر إلى الأبد!!، ويعترف التقرير أن هناك شعورا بعدم الأمــان يســيطر على الإسرائيليين، وأن الأولاد والأمهات والزوجات يخشون الآن النزول إلى الشوارع أو التسوق وأن المسألة قد انتقلت من كونــنا كــنا يقصــد إســرائيل نتحكم فى مصائر الفلسطينيين إلى أن الفلســطينيين هــم الذيــن قد يتحكمون فى مصير إسرائيل خاصة أنهم يــتحركون بــلا نظام ومن الصعب بالتالى الإمساك بتلابيبهم أو تحديد وسيلة ناجحة للقضاء على إرهابهم!!

الصراع على المياه
في الشرق الأوسط



الصراع على المياه في الشرق الأوسط

إذا كان الصراع على البترول قد شكل مساحة كبيرة من معادلات وأحداث المنطقة منذ عقود كثيرة وحتى الآن، فإن الصراع على المياه يمكن أن يكون أشد حدة؛ ذلك أن المياه في التحليل النهائي أهم من البترول وأغلى؛ فهو سر الحياة ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾(الأنبياء:٣٠) .

ولا شك أن الإدراك المبكر لأهمية المياه، ومعرفة طبيعة الصراع القادم حولها سيؤثر على أمتنا إذا ما أحسنوا الاستعداد بكثير من الجهد والتضحيات، ويؤمّن لهم مستقبلاً معقولاً، أما إذا ظل العرب في حالة غفلة عن هذه التقنية الخطيرة فإن مجرد وجودهم على سطح الأرض سيصبح أمراً صعباً!

ومن المهم هنا أن نقرر حقيقة بديهية، أن هناك علاقة مباشرة بين الأمن العربي بعامة ومسألة تأمين مصادر المياه. وإذا كان الأمن العام لدولة ما هو الإجراءات التي تتخذها تلك الدولة لتحافظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل، فإن فهم الأمن على أنه موضوع الدفاع العسكري داخلياً وخارجياً هو أمر سطحي وضيق؛ لأن الأمن العسكري هو وجه سطحي ضيق لمسألة الأمن الكبرى كما يقول

روبـــرت مكـــنمارا وزيـــر الدفاع الأمريكي الأسبق؛ فهناك الكثير من الجوانـــب غير العسكرية المرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة الأمن القومي، ومـــن هـــذه الجوانب بالطبع مسألة الأمن الغذائي والاقتصادي ومسألة المياه على رأس تلك الجوانب.

وإذا أخذنا مسألة الأمن الغذائي كمحدد لفهم مستقبل العالم العربي لوجدنا أن الأمر مفزع؛ ذلك أنه إذا كان من يمتلك غذاءه يمتلك قرارا؛ فـــإن وجود فجوة غذائية في العالم العربي تصل إلى حوالي ٣٠ مليار دولار ســـنوياً هي الفرق بين الصادرات والواردات العربية مما يمثل مشـــكلة خطيرة، بل ونسبة الاكتفاء الذاتي من أهم السلع الاستراتيجية فـــي مجال الغذاء لا تزيد عن ٣٩%، وهذه النسبة لها أهميتها؛ ونراها فـــي حالة الدول ذات الأهمية في المنطقة العربية مثل مصر التي يبلغ اكتفاؤها الذاتي من القمح ٢٧%.

وإذا أخذنـــا في الاعتبار أن السوق العالمية للقمح تتشكل من دول ذات توجهات سياسية ومتعارضة معنا، لأدركنا فداحة المشكلة؛ فالدول الكـــبرى المســـيطرة علـــى ســـوق تصدير القمح هي «أمريكا، كندا، أستراليا، السوق الأوروبية المشتركة»؛ حيث يمكنها التكتل في احتكار للتحكم ليس في تصدير القمح فقط بل وفي أسعاره كذلك.

وهكذا فإن المسألة الغذائية تفجر بالضرورة مسألة الماء؛ حيث إن الماء هو العنصر الأساس للزراعة القادرة بدورها على سد تلك الفجوة الغذائـــية. وبالطبع لا تقتصر أهمية الماء على مسألة الزراعة؛ فالماء ضروري للتصنيع أيضا، فضلاً عن أهميته لتلبية الاستهلاكات البشرية

المباشرة من مياه شرب وغسيل وغيرها، وليس عبثا بالطبع أن تكون معظم الحضارات قد نشأت حول مصادر المياه.

ومشكلة المياه في الوطن العربي ذات أبعاد كثيرة؛ فالوطن العربي يقع في الحزام الجاف وشبه الجاف من العالم، وتقل فيه الموارد المائية المتجددة عن ١% من المياه المتجددة في العالم، ونصيب الفرد العربي من المياه ١٧٤٤ مترا مكعبا سنويا، في حين أن المعدل العالمي يصل إلى ١٢٩٠٠ متر مكعب سنويا، ومعدل هطول الأمطار في الوطن العربي بين ٥ ــ ٤٥٠ ملم سنويا، في حين يتراوح في أوروبا مثلا بين ٢٠٠ ــ ٣٠٠٠ ملم سنويا. وتمثل الصحارى في الوطن العربي مساحة ٤٣% من إجمالي المساحة الكلية للوطن العربي، وفي عام ٢٠٠٠م حيث بلغ عدد سكان الوطن العربي ٣٠٠ مليون نسمة فإن عجز الموارد المائية العربية يصل إلى ١٢٧ مليار متر مكعب؛ وذلك لأن حجم الموارد المائية المتاحة حاليا تبلغ ٣٣٨ مليار متر مكعب سنوياً لا يستثمر منها إلا ١٧٣ مليار متر مكعب! في حين أن الوطن العربي يحتاج لتلبية احتياجاته من المياه ــ إذا أحسن استخدامها، وتم عمل خطط لسد الفجوة الغذائية ــ إلى حوالي ٥٠٠ مليار متر مكعب من المياه سنويا.

والموارد ومصادر المياه في الوطن العربي تتمثل في الأمطار والمياه السطحية «الأنهار» والمياه الجوفية، ولعل المشكلة حول المياه السطحية «الأنهار» هي الأهم؛ فالمياه السطحية المتاحة حاليا للوطن العربي تبلغ ١٢٧,٥ مليار متر مكعب سنويا، تحوز ثلاثة أقطار عربية

حوالي ٧١ % منها، هي مصر والعراق والسودان، ومن المفروض أن يــزيد حجــم الموارد السطحية ليصل إلى ٢٥٦ مليار متر مكعب من المــياه؛ أي ضــعف مــا هو متاح حاليا عن طريق مشروعات الري والسدود مثل قناة جونجلي في السودان.

وإذا أدركــنا أن ٦٧% مــن مياه الأنهار «المياه السطحية» في الــبلدان العربية تأتي مس خارج بلادهم لعرفنا حجم ما يمكن أن يحدث مــن مشــكلات إذا قــام العرب بعمل تنمية أو سدود تؤدي إلى زيادة مواردهــم، وعلــى سبيل المثال فإن نهر النيل ينبع من إثيوبيا «النيل الأزرق»، وبحــيرة فكــتوريا «النــيل الأبيض»، ويمر في تسع دول إفريقــية هــي «إثيوبــيا، كينــيا، أوغندا، تنزانيا، رواندا، بوروندي، والكونغو والسودان ومصر»، ويقطع مسافة من أبعد منابعه على روافد بحــيرة فكــتوريا نــيانزا في قلب إفريقيا إلى ساحل رشيد على البحر الأبيض المتوسط في مصر حوالي ٦٧٠٠ كم.

أمــا نهرا الفرات ودجلة فينبعان من الجبال الواقعة شمال تركيا، ويمر الفرات عبر سوريا ثم العراق. أما نهر دجلة فيمر من تركيا إلى العراق مباشرة.

وبالنســبة لــنهر النيل ـ مثلاً ـ الذي تعتمد مصر عليه اعتماداً شــبه كــامل في اقتصادياتها وخاصة الزراعة؛ فإن نصيب مصر منه يصــل الآن إلى ٥٥,٥ مليار متر مكعب سنويا، والسودان إلى ١٨,٥ مليار متر مكعب سنويا، وبديهي أن مصر والسودان يسعيان إلى زيادة مواردهمــا من مياه النيل عن طريق مجموعة من المشروعات، وهذه

المشـــروعات لـــن تؤثر على حصة دول المنبع؛ لأن المياه قد تركت أراضيهم بالفعل من ناحية، ولأن هذه الدول لها مصادر مياه غنية جداً، فإثيوبيا مثلاً التي يأتي منها ٨٥% من مياه النيل المستخدمة في مصر ليست في حاجة إلى مياه النيل أصلاً؛ لأن مواردها المائية أعلى كثيراً مـــن احتـــياجاتها، ولكـــن الأمر ليس بهذه البساطة؛ حيث تسعى قوى عالمية وإقليمية لحرمان مصر من حصة كبيرة من المياه أو منها على الأقـــل مـــن زيادة مواردها من تلك المياه؛ فإسرائيل تسعى إلى زيادة نفوذهـــا في القرن الإفريقي ومنطقة البحيرات الكبرى، وكذلك أمريكا التـــي نجحت أخيراً في تحقيق أكبر قدر من النفوذ على كل من إثيوبيا وأوغندا والكونغو «ميذكابيلا» ورواندا وبورندي.

والمخططـــات المعاديـــة لمصـــر في هذا الصدد كثيرة؛ فالجيش الشـــعبي لتحرير جنوب السودان بقيادة جون جارانج المدعوم إسرائيلياً مـــنع إنشـــاء قناة جونجلي التي كان من الممكن أن تزيد نصيب مصر والسودان من المياه، وهناك مخطط قديم يقضي بمحاولة تحويل مجرى النيل في إثيوبيا، وقد قام المكتب الأمريكي لاستصلاح الأراضي بعمل الدراســـات الخاصـــة به إلا أنه بالطبع لم ينفذ، ولكنه يشكل فكرة في الأدراج يمكـــن تنفيذها فيما بعد للضغط على مصر، وهناك الآن عدد من الدراسات الجاهزة لإقامة سدود على النيل في إثيوبيا سوف يمولها البنك الدولي تؤثر على خصة مصر من المياه بنسبة ٢٠% سنوياً، أي ٧ مليارات متر مكعب من المياه، بل,ووصل التفكير إلى حد أن هناك خطـــة تقضـــي بتحويل كل مصادر المياه في تلك المنطقة لتصب في منطقة البحيرات العضمى في وسط القارة كخزان عملاق للمياه، ثم بيع

هـذه المياه لمن يريد ويدفع الثمن كالبترول تماما، ويمكن كذلك تعبئتها في براميل تحملها السفن أو عن طريق أنابيب لبيعها لدول خارج القارة، وتطالب إسرائيل أيضا بمدها بنصيب من مياه النيل عن طريق سيناء، وإلا قامت بإحداث متاعب لمصر في منابع النيل في إثيوبيا ومنطقة البحيرات.

وفي الحقيقة فإن المطامع الإسرائيلية في مياه النيل قديمة قدم المشروع الصهيوني ذاته، فقد تقدم الصهاينة في بداية هذا القرن بمشروع إلى اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر لهذا الغرض إلا أن ذلك المشروع قد رفض، وفي عام ١٩٧٤م قام مهندس إسرائيلي «إليشع كيلي» بتصميم مشروع لجلب المياه لإسرائيل من الدول المجاورة على أساس أن إسرائيل ستعاني من مشكلة مياه في المستقبل، ويتلخص المشروع بالنسبة لنهر النيل في توسيع ترعة الإسماعيلية حتى يزيد معدل تدفق المياه داخلها إلى ٣٠ مترا مكعبا في الثانية، ونقل هذه المياه عن طريق سحارة تمر أسفل قناة السويس، ثم تصب المياه على الجانب الآخر من القناة في ترعة مبطنة بالإسمنت لمنع تسرب المياه، وتصل هذه الترعة إلى ساحل فلسطين المحتلة وتل أبيب، ثم في خط آخر يتجه جنوبا نحو بئر السبع لعرب صحراء النقب، وتسعى إسرائيل وفق هذه الخطة إلى الحصول على ٨ مليارات متر مكعب من المياه سنويا من النيل، وقد تكرر الحديث عن هذا المشروع فيما بعد خاصة بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م.

وبالنسبة لنهر الفرات الذي ينبع من تركيا ويمر في سوريا والعراق، فإنه نشأت حول حصص المياه والتدفق في هذا النهر العديد من المشاكل بين كل من تركيا وسوريا والعراق، وتستخدم تركيا مسألة المياه للضغط السياسي على سوريا مثلا بسبب قضية دعم سوريا للأكراد الأتراك، ومن الناحية الفنية فإن سوريا لديها عجز في المياه يقدر بحوالي مليار متر مكعب سنوياً، ومع قيام تركيا بمشروعات كبرى على نهر الفرات تقضي بإنشاء ١٣ سداً، نفذت بالفعل منها سد أتاتورك عام ١٩٩٠م؛ فإن معدل التدفق في النهر قد انخفض مما أثر على كل من سوريا والعراق، كما أن قيام سوريا بدورها بإنشاء سدود على الفرات يؤثر على العراق الذي يصل إليه النهر في النهاية، بل قد وصلت الأمور إلى حافة الصدام بين سوريا والعراق عام ١٩٧٤م.

وهناك مشروعات يتم التفكير فيها الآن خاصة بعد التحالف العسكري التركي الإسرائيلي بنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل عبر أنبوب طويل يسير في البحر المتوسط إلى شواطئ إسرائيل، وهذا يحقق لتركيا موارد مالية من بيع المياه، ويحقق لإسرائيل تلبية حاجاتها من المياه بثمن بسيط، ولكن هذا بالطبع سيكون على حساب كل من سوريا والعراق.

كانت المياه من أهم العوامل التي نشأت بسببها الحروب بين العرب و (إسرائيل)، فالعمليات العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية اللبنانية عامي ١٩٦٤، ١٩٦٥م كانت بسبب الأطماع الإسرائيلية في مياه نهر الأردن ونهر بانياس ونهر اليرموك ونهر

الحاصباني، كما كان من أسباب حرب ١٩٦٧م موضوع تحويل مجرى نهر الأردن، وفي عام ١٩٨٢م شنت إسرائيل حملة عسكرية على لبنان كان من أهدافها أطماع إسرائيل في نهر الليطاني.

وتسعى (إسرائيل) كما ذكرنا من قبل إلى الحصول على مياه نهر الفرات من تركيا مباشرة، وكذلك الحصول على حصة من مياه نهر النيل عن طريق قناة الإسماعيلية باتجاه النقب وساحل (إسرائيل).

وتعتبر المياه محوراً هاماً من محاور الفكر الصهيوني؛ فبعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م تقدم حاييم وايزمان رئيس المؤتمر الصهيوني آنذاك إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا طالباً تحسين حدود إسرائيل حسب وعد بلفور، لتضم حوض الليطاني وجبل الشيخ وحرمون أي تضم أنهار الأردن وبانياس واليرموك.
ويقول الصهيوني بلسان هوارس عام ١٩٢١م: «إن مستقبل فلسطين بأكمله هو بين أيدي الدولة التي تبسط سيطرتها على الليطاني واليرموك ومنابع الأردن».

وأعلن ديفيد بن جوريون عام ١٩٥٥م «أن اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل، وأننا إذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نبقى في فلسطين».

ومن المعروف أن الحدود الإسرائيلية المستهدفة طبقاً للخريطة المعلقة على الكنيست في إسرائيل هي من النيل إلى الفرات أي من ماء إلى ماء.

على كل حال فإن إسرائيل توفر حاجاتها المتزايدة من المياه التي تصــل ٣,٥ ملــيار متر مكعب حاليا، وتريد إسرائيل زيادتها إلى ١٢ ملــيارا للتوسع في مشروعاتها، وتحصل عليها الآن إما من سرقة مياه الآبار العربية بوسائل تكنولوجية معقدة داخل الأراضي المحتلة، أو من مشــروعات تســتهدف السيطرة على أكبر قدر ممكن من مياه الأنهار العربية وحرمان الآخرين منها خاصة على أنهار الليطاني والحاصباني وبانــياس واليرموك والأردن. وبالطبع فإن الفجوة المائية بين ما تنهبه إسرائيل حاليا من المياه العربية وبين ما تستهدف نهبه يمكن أن يشكل عنصرا هاما من عناصر اندلاع حروب قادمة في المنطقة.

مستقبل الحركة الإسلامية في مصر

١٩

مستقبل الحركة الإسلامية فى مصر

الـنقد والنقد الذاتى واجب إسلامى، فالتوبة الفردية التى يمارسها المسـلم أو طلـب المغفـرة والاستغفار، نوع من النقد الذاتي، والتوبة الجماعـية التى يمارسها المسلمون فى صلاة الجماعة أو فى الحج أو غيرهما من المناسك هى نوع من النقد الذاتى أيضا، والتوبة هنا، سواء الفردية أو الجماعية ليست مجرد التوبة عن الخطايا والذنوب الأخلاقية فقـط، بـل هى التوبة أيضا عن الأخطاء الاجتماعية والسياسية أيضا، والآيـات الـتى نزلت بعد غزوة أحد مثلا هى نوع من التحليل النقدى لأسـباب الهزيمة، وقيام أحد الصحابة فى غزوة بدر ـ أى فى معركة وفـى اشـد حـالات الطوارئ ـ يلفت نظر الرسول ﷺ إلى ضرورة تغيـير موقـع نـزول المقاتلين للسيطرة على الماء هى نوع من النقد والمـراجعة التى تؤكد ضرورة ذلك لأنها تمت فى حالة الحرب، ومع قـيادة مثل رسول الله ﷺ وفى وجود كبار الصحابة، والخليفة عمر بن الخطـاب رضى الله عنه يمارس النقد الذاتى علنا من فوق المنبر أمام جمـوع المسلمين قائلا أصابت امرأة وأخطأ عمر وهذه الحادثة أيضا تـدل على إن من حق ومن واجب الرجال والنساء نقد الحكام علنا مع ما فى ذلك من إحراج!

والمسلم مرآة أخيه، ورحم الله امرأ اهدى إليَّ عيوبي، وهذه دعوة

إلـــى الـــنقد، والنقد يكون سريا أو علنيا فرديا أو جماعيا على مستوى الفرد والمجتمع والحركة والأمة.نحن نؤمن بأن مستقبل هذه الأمة، بل مســتقبل العــالم كله مرتبط بالإسلام والحركة الإسلامية، فالإسلام هو وجــدان الأمة ومحركها، وهو دينها وثقافتها وحضارتها، ولن تتحرك تلــك الأمـــة وبالـــتالى تواجه التحديات أو تتقدم أو تخرج من أزمتها الطاحـــنة، إلا بالإسلام كدين، وكثقافة وكحضارة وكأيديولوجية أيضا، وإذا كان الإسلام كذلك، فان الحركة الإسلامية من المفروض أن تكون طلــيعة هــذه الأمـــة والمعــبر عن وجدانها، وقاطرة للتغيير وخميرة النهضـــة، وبالتالى فإن برنامجا صحيحا واستراتيجية صحيحة، وتكتيكا صـــحيحا ضـــرورة مـــن ضرورات تلك الحركة، وضرورة من اجل مستقبل الأمة، وكذلك فان الإسلام كمنظومة فكرية وسياسية واجتماعية قادر على حل مشاكل العالم، وقادر على إنقاذ المهمشين والمستضعفين وقادر على وقف الاستكبار والظلم فى العالم، وهو البديل المرشح الآن بعـــد فشـــل الماركسية لأن يكون ايديولوجية الفقراء والمستضعفين فى مواجهـــة الاســـتكبار العالمي. ولأن الأمر كذلك فان الحركة الإسلامية تحتاج الأن بالتحديد لنوع من النقد والنقد الذاتي، يمارسه أبناء الحركة فـــرادى أو مجتمعيـــن، أو الاســـتفادة من التجارب والخبرات وطرح الأسئلة الصريحة والقاسية والبحث عن الخلل وتحديده وعلاجه.

ومـــن هذه الأسئلة.. هل وصلت الحركة الإسلامية فى مصر إلى طريق مسدود ولماذا لم تصل إلى أهدافها بعد كل هذا الزمان وكل هذه الجهود والتضحيات، هل كان الخلل فى المنهج أو فى الممارسة، أو فى عـــدم كفـــاءة القيادات وهل كانت الأطروحة الفكرية نفسها صحيحة،

, لابد أن نقول هنا أن ما سوف نقدمه من نقد أو تحليل فى هذا الإطار هــو نــوع من الاجتهاد بمعنى انه رؤية فيها صواب وخطأ والعظمة لرســول الله ﷺ وحــده، ويجــب أن نقول هنا أيضا، إن التركيز على الأخطــاء والخطايــا لا يعــنى أن ا لحــركة لم يكن لها منجزات أو إيجابيات، بل لها الكثير بالطبع، ولا يعنى أيضا أن أسباب الفشل كانت فقــط بســبب العوامل الداخلية ولكن أيضا كان هناك عوامل خارجية بعضــها عــالمى وبعضــها محلى من مؤامرات ومطاردات وتضييق وغــيرها، ولكن مع كل قسوة ذلك، فإننا نرى أن لا حركة هناك تهزم مــن الخــارج مهمــا كانت التحديات، بل تأتى الهزائم عادة من الخلل الداخلي.سنحاول الإجابة عن السؤال المطروح بقوة الآن على الساحة، وهو هل وصلت الحركة الإسلامية ــ وتحديداً فى مصر ــ إلى طريق مســدود، ونجيب بصراحة نعم لأن الحركة بكل تياراتها لم تعد قادرة علــى تطويــر نفســها أو معاودة الانتشار أو الوصول إلى أى نتائج اســتراتيجية، بل بعضها اعترف بخطئه فى مجمل ممارساته السابقة، وهــو اعتراف يدل على الشجاعة، ويدل على ممارسة المراجعة والنقد الذاتى الجماعي، وهو أمر محمود بالطبع، ولكن الطريقة الفكرية التى تمــت بهــا المراجعة وكذلك الآراء التى وصلت إليها تلك المجموعة لمواجهــة المســتقبل والحاضر تعبر فى جانب منها عن نفس الأزمة الفكــرية، أى إنهــا قرأت الواقع خطأ مرتين، وليس هنا مجال مناقشة آرائهــا الجديــدة نقطــة نقطــة، ففيها الكثير من المنطلقات الصحيحة والبديهــيات التى كانت غائبة ولكنها افتقرت إلى تحديد الخطأ المنهجى الذى هو اصل الفشل والتخبط فى كل الحركات والممارسات، ومن ثم

وقعت فى أخطاء فادحة أخرى عند تطبيق مفاهيمها الجديدة على الواقع الحالى والمستقبل.

والخطــأ المنهجى إذا ما تم وضع اليد عليه، فسوف يريحنا كثيرا مــن القضايا الجانبية، فالعيب لم يكن فى مشروعية الحركة كما يزعم الــبعض، ولا فــى عــدم كفــاءة القادة أو عدم إخلاصهم أو انتهازية بعضهم، ولا فى التقاعس عن تقديم التضحيات، ولكنه كان خطأ بنيويا، ذلك إن الحركة لم تسأل نفسها فى البداية، من نحن، وماذا نريد، وعلى أى أرضية نتحرك؟

هــل نحــن ديــن جديــد، أم فرقة دينية جديدة، ما هى العلاقة الصــحيحة مــع الأمة والمجتمع، أو سألت نفسها أسئلة من ذلك النوع وأجابــت إجابة خاطئة عليها، ولاشك إن هذا الخلل البنيوى لم يؤد فقط إلى الوصول إلى طريق مسدود، بل أدى إلى ظهور جماعات وتيارات وممارســات وأفكــار مــتطرفة، ذلك انو عدم اتخاذ الموقف الصحيح سوف يؤدى إلى ظهور انحرافات على الجانبين تهاون ـــ تشدد .

وبديهـــى إن الحركة الإسلامية ليست دينا جديدا، بل هى ملتزمة بما استقر عليه المجموع من عقائد وقضايا وأفكار، وبديهى إن الحركة الإسلامية ليست فرقة دينية جديدة، فالواقع لا يحتمل ظهور فرق دينية جديــدة، وبالــتالى فهى ليست متميزة عن الأمة لا فى العقائد ولا فى الأفكار، وهكذا فهى ملزمة فى مصر مثلا بالعلوم الإسلامية كما يمثلها علمــاء الأزهــر، وان كــان لبعض العلماء داخل الحركة أو خارجها اعتراضــات علــى بعــض القضــايا، فصــحف الحــركة وأدبياتها

واجتماعياتها ليست مجالا لمناقشة هذا الخلاف، بل الخلاف على القضايا العلمية يكون داخل معاهد العلم ومن خلال العلماء، والحركة لا علاقة لها بهذا من قريب أو بعيد، وهذا يدفعنا إلى الإجابة عن السؤال: من نحن، والمفروض إننا جزء من هذه الأمة، قررنا تحمل تضحيات اكبر ومسئوليات اكبر وليس وجاهة أو تصدرا أو قيادة ــ وبالتالى فنحن نلتزم بأن نكون مجرد طليعة للأمة لخوض تحدياتها الاستعمار ــ الصهيونية ــ التخلف ــ الاستبداد السياسي، الظلم الطبقى ــ التعصب... الخ وليس أن نكون بديلاً عن الأمة، لأن الأمة ــ كل الأمة ــ مسئولة عن خوض المعارك والتحديات.

أى أننا خلايا حية تعمل على تنشيط باقى خلايا الجسد، وليس بمعزل عنه أو بديلاً عنه، لان ذلك يعنى أن نتحول إلى وباء أو سرطان ونضر مهما كانت نوايانا حسنة.وهذا يطرح بدوره فكرة تسمية الجماعة وهو من وجهة نظرى مسمى يعبر عن الخلل البنيوى المذكور، حتى لو تم تخفيف الأمر بأنها ليست جماعة المسلمين بل هى جماعة من المسلمين، إننا مرة أخرى مجرد طليعة، أو قاطرة أو حتى حزب سياسى ولا عيب فى ذلك، لنا أطروحة بشريه تستند إلى الإسلام كمرجعية، ولسنا شعب الله المختار، ولا نمتاز عن الناس بشىء، ونحن مجرد حلقة من حلقات النضال والكفاح سبقتها حلقات وتتبعها حلقات، بمعنى إننا لا نمتلك كل الحقيقة، ولسنا الذين اخترعنا الإسلام، ولا حتى الحركة الإسلامية المعاصرة، فالحركة الإسلامية فى رأيى هى كل الحركات التى حاولت أن تقود الأمة لمواجهة التحديات الخارجية والداخلية، إنها عبد الكريم الخطابي، وعبد القادر الجزائرى وعمر

المختار، وعمر مكرم ومحمد كريم والأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد واحمد حسين وحسن البنا وعز الدين القسام وكل من قاوم الاستعمار أو الصهيونية أو الاستبداد، نحن الآن مجرد حلقة سبقتها حلقات وتتبعها حلقات والوقوف عند حلقة واحدة هو نوع من الجيل والتعصب والجمود، وهو خطأ وخطر على كل مستوي.كلمة الجماعة إذن، والممارسات المرتبطة بالجماعة ـ شكلت نوعا من العزلة والانعزال، وطرحت نوعا من التكفير السلبي، أو على الأقل تمييز من هم بداخل الصف عمن هم ليسوا به، أو نوعا من التعامل الخاص بين أفراد الجماعة الواحدة، وبما إن الإسلام ملك للامة كلها، فهذا نوع من الاحتكار والتكفير الصامت غير المعلن!! وهو أمر خطير جداً شكلا ومضمونا.

فكرة الجماعة، والصف، والتنظيم قادت إلى إشكاليات أخرى، فمكاسب الجماعة أو الصف أو التنظيم يجب المحافظة عليها وعدم إهدارها، حتى لو كان ثمن ذلك التخلى عن مطالب الجماهير، أو تأييد موقف يضر بالحريات أو يضر بالفقراء أو يمثل موقفا صامتا أو مراوغا تجاه قضية ما، وبديهى إن الجماعة أو الصف أو التنظيم ليست غاية بل هى وسيلة لتحقيق أهداف وغايات وإذا تعارضت الوسيلة مع الغاية يمكن التخلى عن الوسيلة وبالتالى لو كانت المسألة تجرى على أساس إننا مجرد حزب سياسى يرى رؤية وبرنامجا معينا فى وقت معين يمكن إن يتغير ويتطور، ويمكن حل الحزب وعدم التمسك به إذا كان استمراره يتعارض مع المواقف المبدئية والأخلاقية، لكان الأمر اسهل كثيرا، ولعل هذا يفتح الحديث عن الخطأ الخطير الذى وقعت فيه

الحركه الإسلاميه فى مصر حين لجأت الى اسلوبى العنف ـ الدربيه ولاشك ان الأسلوبين خاطئان، وغير ملائمين لأوضاع مصر الاجتماعيه والسياسية، والصحيح ان هناك وسطا بين هذين، وهو النضال السياسي، ولعل هذا يطرح تحليل برامج الجماعات ـ التى ركزت على قضايا ليست محل اهتمام أى حركة صحيحة باعتبارها ليست دينا جديداً ولا فرقة دينية جديدة، ولا شعب الله المختار، فالتركيز على فكرة الدعوة مثلا، هو تفكير غير صحيح فالدعوة تكون لغير المسلمين ـ هل ندعو المجتمعات الإسلامية إلى الإسلام مثلا، ولكن الصحيح هو النضال من اجل إيقاظ النائمين وتحريك السلبيين والنضال من اجل توسيع الحريات، والنضال من اجل رفع الظلم الاقتصادى أو مواجهة الفساد وعدم تكافؤ الفرص، أو مواجهة الكيان الصهيونى أو مواجهة التخلف والجهل، أو حتى طرح أنفسنا بالتحالف مع القوى المناهضة للعولمة فى العالم كرأس رمح فى مواجهة الاستكبار الأمريكى، وطرح الإسلام كمنظومة أو كأيديولوجية للفقراء والمستضعفين فى العالم لمواجهة المشروع الأمريكى الصهيونى العولمى وتحالف الرأسماليين والعسكر خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر.

الخطأ المنهجى الآخر ـ هو عدم إدراك الحركات الإسلامية مسألة الهزيمة الحضارية فلا شك أننا كأمة وكحضارة مهزومون أمام الحضارة الغربية، وفى غضون القرنين الأخيرين على الأقل تم ذلك وتكرس، وأمريكا وإسرائيل والغرب يمتلكون تفوقا علميا وعسكريا واقتصاديا وسياسيا علينا، ولابد أن ندرك هذا المتغير الخطير فى حركتنا وكذلك فى طريقة فهمنا للأمور وفى مطالبنا السياسية

والاجتماعية وعلاقتنا بالحكومات. فلسنا في عصر الدولة العباسية مثلا، حيث يقول الخليفة للسحابة التي تمر أمامه امطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك، فالذي حدث أننا كأمة وحضارة مررنا بعدد من المراحل، فالمنحنى الحضاري لنا صعد، ثم ثبت ثم بدأ في النزول، ولابد من الاعتراف بأننا في حالة نزول حضاري الآن والسيادة في العالم ليست لنا، واتخاذ قرار معين يمكن أن يؤدي إلى ضربنا بصواريخ كروز مثلاً أو التعرض لعدوان على غرار العراق وأفغانستان وبالتالي فيدنا ليست مطلقة في كل شئ، الصحيح أن هناك تداخلات دولية وإقليمية لا فكاك منها، وانه مهما كانت قوتنا فأعداؤنا اقوى بمراحل وبالتالي يجب عدم التركيز على فكرة الحرب النظامية بل المواجهة بالإنسان سلاح الاستشهاد على مستوى التحديات الخارجية، وعلى مستوى محاولة النهضة يجب أن نعمل على عدة مراحل، أي يجب عدم حرق المراحل يجب أن نعترف أولاً بأننا في حالة نزول حضاري، ينبغي تقليل عجلة النزول، ثم تقليل سرعة النزول، ثم إيقاف النزول، ثم إحداث انقلاب في المنحنى باتجاه الصعود، ثم الصعود، وهذا يقتضي بالطبع مجهوداً جباراً لابد من بذله وإلا فسوف تهدر طاقاتنا دائما ونعود كل مرة من حيث بدأنا، يجب أن نحدث نوعاً من التراكم المعرفي والخبرة المنقولة دائما، وان نضع في اعتبارنا إننا كحركة في مرحلة ما وبمسمى ما لا تستطيع ولا ينبغي لها أن تحاول حل كل الإشكاليات وأنها ستحقق كل شئ، بل تعمل على إحداث نوع من التراكم الإيجابي والتقدم خطوة أو خطوات حتى لا تضيع الجهود، وهذا يقتضي نوعاً من التواضع وطول النفس، وهذا

يفسر نجاح بعض الحركات التى حددت لنفسها نوعا معينا من النشاط الاجتماعى مثلاً فقدمت إسهاما ايجابيا، فى حين ان الحركات التى وصفت نفسها بأنها كل شئ: حركة سياسية وعقائدية واجتماعية ومالية وسلفية ومستقبلية وصوفية وعسكرية.. الخ فإنها تقريبا فشلت فى كل شئ مع ثمن باهظ وهائل بلا مبرر .قصدت أن ابدأ هذا التحليل بالحديث عن أخطاء وخطايا تكتيكية واستراتيجية فى مسيرة الحركة الإسلامية، بل والخلل فى منهج علاقاتها بالمجتمع، مقررا أن هناك خللا بنيويا كان سيفضى فى النهاية إلى أزمة حقيقية ما لم تغير تلك الحركة كثيرا من مفاهيمها وأهدافها وسلوكها وطريقة تعاطيها مع المجتمع وان ذلك لم يكن له علاقة بأحداث ١١ سبتمبر، وبالتالى فان عنوان الموضوع ذاته وهو مستقبل الحركة الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر يحمل فى طياته التباسا ينبغى إزالته فى البدء، وقد وقع الكثيرون فى خطأ الاستنتاج بأن أحداث ١١ سبتمبر قد أثرت سلبا على مستقبل الحركة الإسلامية أو خلقت لها صعوبات جمة ربما لن تستطيع تجاوزها وأن تداعيات ١١ سبتمبر ربما تقضى على مستقبل الحركة الإسلامية، والصحيح فى هذا الصدد إن أحداث ١١ سبتمبر لها تأثيرها بالفعل على الحركة الإسلامية، وسواء كان تنظيم القاعدة أو أسامة بن لادن هو المسئول عن الحادث بطريقة أو بأخرى، فان الاتهام قد علق بالفعل فى رقبة الحركات الإسلامية وبناء عليه تم التعامل معها على إنها العدو الذى ينبغى اعلان الحرب عليه، وتم التضييق على مختلف الحركات الإسلامية، ووضعت معظمها على لائحة الإرهاب، وتم تشجيع أو الضغط على الحكومات لضربها، كما تم تجميد أرصدة بعضها او حتى

الجمعيات الخيرية الإسلامية التى لا صلة لها أصلاً بالسياسة وباختصار فان هامش الحركة اصبح ضيقا، والقوى الكبرى والصغرى تترصدها، ولاشك إن هذا تأثير سلبي، ولكن فى المقابل فان خطاب العولمة الأمريكى، والممارسات البشعة التى يعانى منها الشعب كله تقريبا التى تمارسها أمريكا أو إسرائيل أو رموز الاستكبار فى العالم تستفز قطاعات ضخمة من سكان العالم لعمل شئ ضد هذه المنظومة، ومادام المسلمون أو الحركات الإسلامية نالت شرف تهمة مناهضة أمريكا وإنزال العقاب بها، فإن هذا خلق جبهة واسعة من التعاطف مع الحركة يمكن أن يحولها إلى قطب جديد فى مواجهة القطب الأوحد حاليا، بل يمكن أن يحول الحركة إلى طليعة للمناضلين ضد أمريكا وإسرائيل ورموز الاستكبار ويمكن أن يدفع بمقولة الإسلام أيديولوجية الفقراء لتصبح شعاراً حقيقيا للمهمشين والمستضعفين فى العالم وهم أغلبية طبعا على الأقل ٨٠% من سكان العالم ، وإذا كان حلم العدل لا يموت، ومع الخطاب العنصرى والاستفزازى الأمريكى فان هناك آثاراً إيجابية ضخمة يمكن أن تصب لصالح مستقبل الحركة الإسلامية. وهذا بالطبع متوقف على استيعاب تلك الحركة للصدمة الأولى، واستخدامها لخطاب مقبول ومفهوم، وبناء استراتيجية نضالية تسمح بتلك الاستفادة، على أى حال فقد قررنا من قبل أن الحركات لا تهزم من خارجها، وبالتالى فمهما كانت قسوة آثار أحداث ١١ سبتمبر على الحركة الإسلامية فان ذلك لن يستطيع هزيمة تلك الحركة أو إنهاء وجودها، ما لم تكن هناك أسباب داخلية وبنيوية تسمح بذلك أصلا، أضف إلى ذلك إن أحداث ١١ سبتمبر لم تأت بجديد على صعيد استهداف الحركات

الإسـلاميه لنعـداء، بـل انها كانت مجرد مناسبه لاعلان هذا العداء، والسريع بوتيرة الممارسات المقررة سلفا فى إطار صراع الحضارات وإذا كـان من شئ له اثر حقيقى على إزالة هامش التوازن الأمريكى الأوروبـى مـع الحركات الإسلامية فانه ليس ١١ سبتمبر، بل سقوط المـنظومه الاشـتراكية والاتحـاد السـوفيتى السابق، الذى فتح شهية الولايـات المتحدة الأمريكية، وحلفائها لإزالة أى نتوءات معارضة أو مناهضـة أو حتى غير متحمسة لأمريكا وإسرائيل، وبالتالى فان الآثار السلبية الحقيقية نشأت قبل أحداث ١١ سبتمبر بعشرة أعوام على الأقل، ولـم تكن أحداث ١١ سبتمبر إلا مجرد مناسبة للإعلان والتشريع ليس إلا، وعلى صعيد الشعوب العربية والإسلامية، فان ما حدث بعد أحداث ١١ سبتمبر من أمريكا وإسرائيل تحديداً، أضاف بريقاً هائلاً للخطاب الإسـلامى المتصل بالحركات الإسلامية، وجعل جميع القوى السياسية تقريـبا تـردد نفـس هـذا الخطاب حتى ولو كانت فى داخلها تمقت الحركات الإسلامية، وكذا فان الجماهير لابد بالضرورة إلى الخطاب الإسـلامى وكـل هذا يصب فى خانة الفائدة وليس العكس شريطة أن تسـتطيع الحركات الإسلامية إعادة تشكيل نفسها وخطابها للتحول إلى طلـيعة حقيقية للامة ومعبرة عنها، علينا أذن أن نصحح الخطأ الشائع عـن مسـئولية أحداث ١١ سبتمبر عن إضعاف الحركة الإسلامية أو وصـولها إلـى حالة أزمة، ذلك إن هذا كان قبل ١١ سبتمبر لأسباب داخلية لا تتصل بالعالم الخارجى إلى حد كبير.

الطريق الثالث بين
الأجندة الأمريكية
والأجندات الحكومية



الطريق الثالث بين الأجندة الأمريكية والأجندات الحكومية

الإشكاليات المطروحة ـ فكريا وسياسيا ـ على الواقع العربى المعاصر، هى من النوع الصعب الذى لا يكفى فيه مجرد القبول أو الرفض أو إجراء نوع من الحساب الفكرى والسياسى البسيط، بل تقتضى قدرا هائلاً من الوعى واليقظة والتركيب المعقد والحساب الجدلى وإعادة الاعتبار إلى الثوابت القومية والدينية والوطنية بدون الإخلال بتداعيات العصر، وليس العصرنة المقطوعة عن سياقها التاريخي، بمعنى الانجرار وراء القيم الأمريكية بدعوى إن هذه هى موضة العصر.

الأحداث والأفكار فرضت نفسها فرضا علينا فى الآونة الأخيرة، وخاصة تلك المفارقات المتعلقة بموضوع الديمقراطية والمقاومة، والمطالب الأمريكية بالإصلاح السياسى فى نفس الوقت الذى نواجه فيه الة الحرب الأمريكية والإسرائيلية التى تمارس العدوان علينا يوميا وبصورة واسعة وخطيرة ومؤلمة معاً.

والمسألة تحتاج بالطبع إلى رفع الالتباس حول الموضوعات الشائكة الإرهاب، المقاومة المشروعة، الديمقراطية الأمريكية، حقوق

الشعوب، المشروع الأمريكى العدوانى فى جوهره والقيم المتصلة بالحرية والشفافية والتعددية، التمسك بقيم الإسلام الصحيحة أم الخضوع لتفسير أمريكى للإسلام،المواجهة أم الخضوع، الحركة أم السكون، حقوق الشعوب فى العدل والحرية أم الخضوع لمطالب أمريكا بالديمقراطية والإصلاح السياسى ، وهكذا فنحن أمام قضايا متقاطعة ومتداخلة، شديدة التداخل والتقاطع والالتباس.إذا بدأنا بالأجندة الأمريكية المعتمدة رسميا من الإدارة الأمريكية والمتمثلة فى وثيقة بوش، وتصريحات القادة الاستراتيجيين الأمريكيين السابقين والحاليين، فإننا لا يمكن فى نفس الوقت أن نفصلها عن العدوان الأمريكى على العراق، والممارسات الصهيونية المدعومة أمريكيا بالكامل، ورغبة السادة الجدد فى الولايات المتحدة الأمريكية فى إقامة إمبراطورية أمريكية بالقوة والقهر!!

تتحدث أدبيات الأجندة الأمريكية عن محاربة الإرهاب، إزاحة أنظمة الحكم الاستبدادية التى تفرز مناخ العنف والإرهاب، فرصة الإصلاح الديمقراطى باعتباره رسالة أمريكية!! والمطالب الثلاثة بها قدر هائل من النفاق، فالإرهاب من وجهة النظر الأمريكية ليس ما مارسته أمريكا منذ نشأتها وحتى اليوم بحق الشعوب، ولكنه أى نوع من المقاومة ضد المشروع الأمريكى الصهيوني، وعلى الحكومات والدول والجماعات والأفراد أن تتبنى المفهوم الأمريكى الصهيونى للإرهاب، وان تقف مع أمريكا وإسرائيل شكلا ومضمونا، وإلا فإن تلك الحكومات والدول والجماعات والأفراد أشرار إرهابيون يشجعون الإرهاب ويستحقون بالتالى الطرد من الجنة الأمريكية والدخول فى نار

العقـــاب الأمـــريكى ســـواء بالضـــرب بالقنابل أو تجميد الأرصدة أو المطـــاردة القانونية!! الإرهاب فى المفهوم الأمريكى الصهيونى هو أن تناضـــل ضـــد إسرائيل مثلاً وليس ما تقوم به إسرائيل من قمع يومى علـــى مـــدى عشرات الأعوام وبصورة متصلة ضد الشعب الفلسطينى والشـــعوب العربـــية، وهكذا فإن على الدول والحكومات والجماعات والأفـــراد الـــتخلى مباشرة عن الكرامة والحقوق الوطنية والكف عن إشاعة التحريض ضد المشروع الأمريكى الصهيوني، والقبول به شكلا ومضـــمونا بل ودعمه أحيانا حين الطلب!! وإذا كان الخيار هنا سهلا شـــيئا مـــا بالنســـبة للجماعات والأفراد فإنه شديد الصعوبة ـــ لدرجة الاستحالة ـــ بالنسبة للحكومات والدول، فهى لا تستطيع رفض الأجندة الأمريكـــية لهشاشة بنيتها من ناحية ولاستحالة ذلك بالنسبة للتوازنات الدولية، وهى فى نفس الوقت لا تجرؤ على قبولها علنا لأن ذلك يعنى خيانـــتها مباشرة لحقوق الشعوب والتاريخ والجغرافيا والمستقبل ويعنى استفزازها للجماهير وفقدان شرعية وجودها بالتالي، وهكذا فإنها تشعر بـــأن مســـتقبلها غـــامض، وان ممارسات مسك العصا من الوسط أو المـــراوغة والنفاق لن تستمر طويلاً ولن ترضى السادة الأمريكيين ولا الشعوب أيضا، وهكذا فإن ا لحكومات فى مأزق تحسد عليه خاصة إن الممارســـات الأمريكـــية والصهيونية شديدة الاستفزاز والوضوح ولا تحـــتمل التـــبرير والـــتأويل أو تفهم وجهة نظرها، فالعدوان الأمريكى والحصـــار علـــى العـــراق مـــثلاً والمطالب الأمريكية للعراق شديدة الاســـتفزاز وكـــذا فإن شارون يحرق كل أوراق التوت التى تتستر بها الحكومات عادة، بل يتعمد إهانة تلك الحكومات وكشف عورتها!!

والأجندة الأمريكية تتحدث أيضا عن الأنظمة الاستبدادية والفاسدة، وهى حقيقة لا يمكن تجاهلها، ولطالما مارست الشعوب النضال ضدها من اجل حكومات ديمقراطية وشفافية، ولكن الأمريكان أنفسهم كانوا يدعمون ويروجون لهذا الاستبداد وذلك الفساد، ولا شك إن الضغط الأمريكي على هذه النقطة يسيء إلى تلك المعاني، بل يحدث عكس المطلوب وربما كان هذا هو المقصود بالضبط، فتتخلى الجماهير عن النضال ضد الاستبداد والفساد طالما إن ذلك مطلب أمريكى، لان المعاناة من الممارسات الأمريكية والصهيونية اعلى مما سواها طبعا ولكن من الصحيح والضرورى إحداث نقلة فكرية وسياسية وخيال شعبى قادر على استمرار النضال ضد الاستبداد والفساد دون الوقوع فى الأجندة الأمريكية والتمسك قبل ذلك وبعده بخيار المقاومة والمواجهة للمشروع الصهيونى الأمريكى، ولاشك إن هذه إشكالية تواجه القوى والحركات والشعوب والأفراد وينبغى بذل الجهد السياسى والفكرى والنضالى والحياتى لحل تلك الإشكالية.

أما فرض الإصلاح الديمقراطى على طريقة الأجندة الأمريكية، فهو يعنى أولا تغيير أنظمة الحكم بأنظمة جديدة تتخلى تماما عن الثوابت الوطنية والدينية والقومية، وتتبنى مفاهيم العولمة والأمركة، وحقوق الإنسان الفرد قبل المجتمع بما فيها حقوق الشواذ، وهى أمور ملتبسة ومرفوضة، ولكن هذا لا يعنى رفض الديمقراطية طبعا، ولعل هذه إشكالية أخرى تواجه الشعوب، أما الحكومات فهى فى مأزق حقيقي، فقد اعتادت على الحكم المطلق، وهى غير قادرة على الممارسة الديمقراطية الحقيقية لان هذه سوف تفرز مباشرة وفورا

القوى المقاومة والمناضلة والشعبية الرافضة أيضا للمشروع الأمريكي ــ الصهيوني، ولعل هذا ما تحاول الحكومات نقله إلى الإدارة الأمريكية التي تفهم هذا بالطبع، ولكنها تستخدم تلك الورقة كمجرد تمهيد لإقامة أنظمة حكم اكثر عمالة على غرار حامد قرضاي في افغانستان او حتى إقامة حكومات برئاسة جنرالات أمريكيين تومي فرانكس مثلا مطروح لحكم العراق بعد نجاح العدوان الأمريكي! وهكذا فان الحكومات في مأزق حقيقي فلا هي قادرة على رفض ذلك ولا هي مقتنعة بحقيقته ولا هي قادرة على تبني السياسة الأمريكية على طول الخط، وبديهي أن هذا الأمر لن يستمر طويلا.. ويجب على الشعوب أن تستعد وعلى قواها الحية أن تعمل.. وأن تعيد اكتشاف ذاتها وقدراتها وبرامجها، وأن تفرز مشروعا فكريا وسياسيا قادرا على حل تلك المعضلات والإشكاليات وإقامة الحجة على الناس وفتح طرق الخيارات الصحيحة والمستقيمة والقادرة.. وإلا فان ضبابا فكريا وسياسيا هائلا سوف يسيطر على المنطقة إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

لماذا تفشل
مشروعات الإصلاح



لماذا تفشل مشروعات الإصلاح

منذ أن طرح الرئيس الأمريكي جورج بوش ما أسماه الشرق الاوسط الكبير والدي من المفترض أن تتبناه مجموعه الدول الثماني الكبار في العالم في مؤتمرها القادم، منذ ذلك الحين نبارت حكومات وجماعات ورموز ثقافية وسياسية في طرح تصورات وعقد مؤتمرات وإصدار توصيات حول مشروعات للإصلاح، ولكن الحقيقة أن كل هذه المبادرات محكوم عليها بالفشل لأسباب كثيرة واقعة في بنية هذه الحكومات والجماعات الثقافية والسياسية ولأسباب تتصل بإغفال العنصر الرئيس للإصلاح والنهضة، وهو نفس العنصر الذي فشلت بسبب غيابه كل مشروعات النهضة العربية والإسلامية التي شهدتها تلك البلدان في غضون القرنين المنصرمين.

بداية فإن مشروعات الإصلاح القادمة من الخارج هي بالضرورة فاشلة، لأنها أولا تفتقد للمصداقية وتتسم بالنفاق ، وأهدافها لا علاقة لها في الحقيقة بموضوع الإصلاح أصلا ، بل نكاد نقول إن الغرب وأمريكا لا يريدون لنا الإصلاح والديمقراطية والنهضة أو أي شيء إيجابي أصلا ، لا على الأساس الإسلامي ولا حتى على الأساس العلماني ولا على أي أساس ، المطلوب فقط هو إعادة هيكلة مجتمعاتنا بما يضمن الخضوع والانصياع الكامل للمشروع الغربي الأمريكي

الصهيوني، لا أكثر ولا أقل، ويلاحظ في هذا الصدد أن مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي تم طرحه مؤخرا لم يكن مشروعًا أو مبادرة؛ بل كان نوعًا من الحكم والعقاب أو عقد الإذعان فهو لم يناقش الحكومات المعنية ولم يهتم بأخذ رأيها ؛ بل وضع المشروع هكذا وعليهم التنفيذ، فضلا عن أن أي مشروع للإصلاح ما لم يستند إلى إرادة شعبية حقيقية فلن ينجح.

وبديهي أن الممارسات الأمريكية والغربية مع شعوبنا تاريخيًا وعقائديًا ووجدانيًا كلها تقود إلى نفرة الشعوب من أي شيء يأتي من هناك، أو على الأقل الشك فيه والارتياب بمضمونه وأهدافه، ويكفي أن مشروع الشرق الأوسط الكبير اهتم بإدخال إسرائيل قسرا في المنظومة العربية الإسلامية، وهذا مستحيل حتى ولو استند إلى قوة هائلة لأنه ضد حقائق التاريخ والجغرافيا والدين والوجدان، وهكذا فإن مثل هذه المشروعات تولد ميتة وأعتقد أن الذين جاءوا بها يعرفون هذا ولا يريدون إلا نوعا من الضغط على الحكومات بها للمزيد من الانصياع والإذعان والانبطاح ووضع الحكومات في حالة رد فعل.

من جانب آخر؛ فإن الضجة الهائلة والتحليلات المستمرة في الصحف والفضائيات والجلسات الثقافية والسياسية والاهتمام المبالغ فيه من الحكومات والمثقفين بالموضوع يعكس قدرًا هائلاً من الخلل، ولن يكون التفكير في الإصلاح مجديًا إذا تم بناءً على ضغط خارجي، ومجرد الرقص على أنغام الخارج هو في حد ذاته خلل كبير وأحد أسباب الفشل؛ نعم لقد تأخرنا كثيرًا في الإصلاح، نعم نحن في حالة

مزرية، وهذه جريمة ارتكبتها الحكومات والقوى السياسية والجماعات الثقافية على حد سواء؛ فالحكومات أدمنت الاستبداد والفساد، وهذه جريمة تستحق عليه المحاسبة، والقوى السياسة لم تمتلك الشجاعة الكافية، ولا الرؤية الصحيحة لمواجهة هذا التحدي لا نستثني من ذلك أحد هذه القوى السياسية مهما كانت مستبعدة أو حتى تعرضت لقهر هائل، هو قهر غير مبرر وهو مجرّم ويستحق الإدانة ولكن ذلك لا يعفيها من المسؤولية، ربما يقلل مسئوليتها ولكنه لا يعفيها من المسؤولية، والجماعات الثقافية ارتضت في مجملها أن تكون بوقاً للحاكم أو ترديدًا ومرجعا لصدى الخارج، وبحثت عن المنافع والمناصب والمؤتمرات بالتقرب من المؤسسات الحاكمة أو عن الشهرة والجوائز بالتقرب إلى المؤسسات الغربية حتى لو كان الثمن مثلاً سب الدين أو التخلي عن الثوابت؛ بالطبع لكل ظاهرة استثناءاتها ولكنها استثناءات تؤكد القاعدة ولا تلغيها.

إذا تابعنا ردود الأفعال الحكومية تجاه مبادرة الشرق الأوسط الكبير؛ نجد أن الحكومات أصيبت فجأة بحمى الإصلاح والحديث عنه. والقول إنها كانت تؤمن به وتعدّ له وتجهز أدواته ولكنها تحتاج إلى وقت، وهو كذب صريح ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾(التوبة:٤٦)

ثم عادت تلك الحكومات تتحدث عن الخصوصية.. وهو حق أرادوا به باطل؛ لأن الخصوصية لا تعني الظلم والفساد والتعذيب في السجون وانتهاك حقوق الإنسان، ثم لاذت الحكومات بمجموعة من

المثقفين للتحدث عن الإصلاح وتضع لهم أجندات بهدف امتصاص الضغط الخارجي ليس إلا؛ وانبرت جماعات المثقفين كل يدلي بدلوه، وكأن الإصلاح، والقضاء على الفساد، وتحقيق الحريات واحترام حقوق الإنسان أو حتى تداول السلطة وتغيير الدساتير مسألة صعبة، وهي ليست صعبة بالطبع، وهي خطوة ضرورية طبعا، ولكنها لن تحقق الإصلاح هكذا فجأة وبعصا سحرية.وفي هذا الصدد يمكن أن نرصد مؤتمر المثقفين في مكتبة الإسكندرية، الذي تم طبعاً برعاية حكومية سواء اعترف بذلك من اعترف أو أنكر من أنكر، ووصل المؤتمر إلى عدد من التوجيهات حول: الدعوة إلى تداول السلطة، وحرية تكوين الأحزاب السياسية، وإلى تحرير الصحافة والإعلام، والتوقف التام عن اعتقال الناس في الدول العربية بسبب آرائهم، وإصلاح المؤسسات والهياكل السياسية والإدارية، والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية فصلاً واضحا صريحا.. أو غيرها من التوجيهات التي كان من الممكن لطالب حقوق مثلا أن يدلي بها بسهولة، ولو كانت المسألة ليست مجرد امتصاص الضغط الأجنبي لقال هؤلاء المثقفون إنهم في حالة اعتصام مستمر وإضراب الطعام مثلاً حتى يتم الإفراج عن المعتقلين السياسيين في مصر، أو إلغاء قانون الطوارئ مثلا.

وهكذا فإن التصرف كرد فعل للضغط الأجنبي، وعدم الندم الثقافي على ما فرطنا في حق الوطن طويلا وافتقادنا لدور المثقف كضمير للمجتمع ورائد للتغيير والتنبيه للمخاطر كزرقاء اليمامة لن يؤدي بالطبع إلى نجاح تلك الخلطة غير السرية.

، الملاحظه الجديرة بالاهتمام هي ان مبادرة جماعة المثقفين بالإسكندريه لم تتطرق إلى موضوع الاحتلال الأمريكي للعراق والممارسات الإسرائيلية بخصوص الفلسطينيين ، أو الرفض الصريح لقبول اسرائيل في منظومة الشرق الأوسط.وهكذا؛ فإن هناك شبهات واضحة،حول الهدف الحقيقي من تلك المبادرات: الأهداف الشخصية، والأهداف ذات الصله بالحكومة، والاهداف ذات الصلة بـ ...، الأمريكان وتقديم البعض أنفسهم لهم كبديل.. وكلها تعرقل الإصلاح وتفقده مصداقيته.

بقي أن نقول إن كل مبادرات الإصلاح من الخارج أو الداخل فشلت وستفشل لعدم إدراكها أن المنوط بالإصلاح هم الناس.. الأمة.. الجماهير، وان هؤلاء ليسوا قِطَعاً من الحجر؛ بل لهم ... الوجداني والعقائدي .جزء من هذا التركيب الحضاري والوجداني أننا أمة لا تنهض ولا نصلح إلا بالمقاومة ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(العنكبوت:٦٩) ، وإننا ننحط على مستوى الاقتصاد والسياسة والحريه والاجتماع وكل شيء بترك المقاومة "ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا" ، وإن الطريق الصحيح للإصلاح يبدأ بمقاومة المشروع الامريكي الصهيوني في المنطقة، وبدون ذلك فانه لن يكون إلا قبض الريح وحصاد الهشيم وبناء على غير أساس مهما كانت المطالب والمبادرات والمؤتمرات والتوصيات براقة ولامعة ، وحتى لو خلصت نوايا الحكومات والمثقفين والجماعات السياسية .. فبغير المقاومة لا اصلاح ولا تقدم ولا نهضة .

مستقبل الاحتلال الأمريكي للعراق

٢٢

مستقبل الاحتلال الأمريكي للعراق

في تحليل لا يخلو من الدلالة، توصل الخبير العسكري الصهيوني زئـيف شيف إلى أن الجيش الأمريكي قد مُني بالهزيمة في العراق على يـد المقاومـة العراقية، وأن آثار تلك الهزيمة سوف تكون بعيدة المدى وسـتؤثر علـى إسرائيل أيضًا. وقال المحلل العسكري الإسرائيلي: "إن سـيطرة الجـيش الأمريكي على المدن الكبيرة قد أصبحت أضعف مما كانت عليه منذ عام، وأن الوحدات العسكرية العراقية التي شكلتها أمريكا فـي العراق قد تفككت وانضم عدد من أفرادها إلى المقاومة، وأن التنقل بالطرق بين المدن العراقية بات أقل أمانًا، وأن الاتصالات اللاسلكية بين قـوات الجـيش الأمريكي ومختلف المراكز تتعطل باستمرار، وإذا ما تقوقع الأمريكيون في معسكرات بعد قيام الإدارة العراقية فإن الأراضي العراقية بين المدن العسكرية سوف تكون في أيدي الثوار، وأن مثل هذا الـتدهور يذكرنا بوضع الفرنسيين في مرحلة ما في الهند الصينية، وأنه إذا فقـد الأمريكيون تأييد الغالبية الشيعية؛ فإن حربهم في العراق سوف تصـبح مشـكلة المشـاكل، وأن الإدارة الأمريكـية يبدو عليها التخبط الاسـتراتيجي، وبعـد لجـوء واشنطن للأمم المتحدة لكي تساعدها في الخـروج مـن مأزقها بالعراق لم يعد واضحًا ما الذي ينبغي أن يعتبر كنصـر أمريكـي، ولا يقـل فـي ذلـك أهمية تقييم وتقدير الدلالات

الاستراتيجية في حالة ما سُجل إخفاق ذريع للأمريكيين بالعراق، إنها ستكون دلالات كونية بعيدة المدى سوف تؤثر على إسرائيل أيضًا".

الفشل الأمريكي ..حقيقة معروفة

الهزيمة الأمريكية في العراق أو الفشل الأمريكي الذريع في العراق بات حقيقة معروفة يعترف بها كبار القادة والمحللين في أمريكا ذاتها وفي إسرائيل "الحليف الاستراتيجي". يعترف بها البعض مباشرة -خارج الإدارة الأمريكية- ويتحدث بها داخل الإدارة الأمريكية كبار رموزها ولكن بطريقة غير مباشرة؛ فالرئيس الأمريكي جورج بوش لم يعد يتحدث عن انتصار أمريكي؛ بل عن تبرير استمرار الجيش الأمريكي في المستنقع العراقي رغم الفشل قائلاً "إن الجيش الأمريكي صامد في العراق، ولن يتركها للإرهابيين ولن يفر أمام الأشرار"، وهو بهذه الطريقة يخاطب طرفين: الطرف الأول هو الجمهور الأمريكي على أساس أن الخسائر الكبيرة في العراق ثمن لعدم انتصار الإرهابيين، وبالتالي تشكيل مخاطرة كبيرة على أمريكا في الخارج والداخل أيضًا، أي أن الجيش الأمريكي يخوض المعركة ضد الإرهاب خارج الأراضي الأمريكية بدلا من خوضها داخل أمريكا، وبالتالي فعلى الجمهور الأمريكي تحمل الخسائر وانتظار النعوش العائدة. والطرف الثاني: هم العملاء في العراق حتى لا ينهاروا فجأة عند إحساسهم باقتراب الانسحاب الأمريكي من العراق وتركهم في العراء أمام الشعب العراقي الثائر عليهم ليواجهوا عقوبة الخيانة، وهو إحساس أصبح قويًا لدى الأطراف المتعاونة مع أمريكا في العراق.

أمـــريكا تحـــاول التخلص من الفشل بأكثر من طريقة، وكل هذه الطرق فشلت أو محكوم عليها بالفشل؛ فليس هناك تغيرًا نوعيًا مثلاً إذا مـــا كان من يحكم العراق لحساب أمريكا هو مجلس الحكم أو الحكومة المعينة من الأمم المتحدة، أو حتى حكومة منتخبة؛ فإذا انسحبت القوات الأمريكـــية إلى قواعد داخل المدن، فأيًا كان الوضع السياسي العراقي؛ فـــإن الثوار سيسيطرون على المدن والطرق، ويصبح مأزق الأمريكان فـــي قواعدهـــم أسوأ، وإذا استمرت القوات الأمريكية داخل المدن فإن شـــيئًا لـــم يتغـــير، وســـواء كانت سلطات الاحتلال تدار من المنطقة الخضـــراء أو مـــن سفارة ترفع العلم الأمريكي فإن شيئًا لم يتغير، ولا تنطلي هذه اللعبة على المقاومة.

تصاعد المقاومة

والمقاومـــة تدورها تزداد قوة مع التخبط الأمريكي الاستراتيجي، ومع كل محاولات التجريب من مجلس انتقالي، إلى حكومة معينة، إلى حكومـــة منتخـــبة؛ فالأوضاع الأمنية والاقتصادية تتدهور. وهذا يؤثر على كل الشعب العراقي سنة وشيعة وغيرها، وكل هذا يصب لصالح المقاومـــة، والـــتململ داخل الشيعة وظهور قوى شابة مثل الصدريين (نســـبة إلـــى مقـــتدى الصـــدر). وأيًا كانت درجة ترددها فإن سقوط الضـــحايا مـــن الشيعة مع الأزمة الاقتصادية والسياسية سيدفع القطاع الأكـــبر مـــنهم للخروج على قيادات الحوزة الصامتة باتجاه المقاومة، وهـــو أمر خطير جدا، بالنسبة للأمريكان، والحديث عن حكومة إفساد

أو القضاء على استبداد النظام السابق لم يعد حديثًا جديًا، لا داخليًا و لا خارجيًا بعد فضيحة التعذيب الأمريكي للمعتقلين العراقيين في السجون العراقـية، وخاصة سجن أبي غريب، أما اللجوء الى الأمم المتحدة، أو محاولـة توريـط أطراف عربية أو دولية في المستنقع العراقي؛ فإن الأمر قد فات وانتهى، والجميع يخشى ثمنًا باهظًا إذا فعل ذلك على يد المقاومة العراقية الباسلة.

علـى كـل حـال فإن مظاهر وأعراض الفشل الأمريكي باتت واضـحة، ولعـل مـن أهمهـا الخلافات والصراعات داخل معسكر الأمـريكان أنفسهم (الصدام مع الجلبي مثلاً) وهو نوع من التعبير عن الضيق الأمريكي بالذين ورطوهم في المستنقع.

الانسحاب.. ليس سهلاً

ولكـن؛ هـل ينسحب الأمريكان؟ الأمر ليس بهذه السهولة، وإذا كانـت كل العناصر التكتيكية تقول إن الانسحاب الأمريكي من العراق بـات محتومًا، فإن هناك عوامل استراتيجية أخرى تعطل صدور هذا القرار من المؤسسة الأمريكية الحاكمة "وهي فوق الحزبين الجمهوري والديمقراطي على حد سواء وأقوى من أي رئيس أمريكي" .

هـذه العوامل الاستراتيجية لا تتصل بهيبة أمريكا مثلاً أو خسارة الحـرب ضـد الإرهـاب؛ فهـذه أمور يمكن احتمالها، ولكنها تتصل بمستقبل إسرائيل، ومن المعروف أن اللوبي الصهيوني قام بدور كبير في جر إدارة الرئيس بوش إلى غزو العراق، وبديهيّ أن هذا اللوبي لا

يــريد الانســحاب الأمريكي من العراق؛ لأن ذلك معناه انتشار روح عالية من المقاومة إلى داخل فلسطين والعرب والمسلمين ما يشكل أكبر الخطر على وجود إسرائيل ذاته، وكذلك فإن القوى الحاكمة في الغرب عمومًــا، وفــي أمريكا خصوصًا ترى أن الانسحاب من العراق يعني خسارة الغرب كله وليس أمريكا أمام العرب والمسلمين، الأمر الذي لم يحــدث مــنذ مــئات السنين، وربما يؤدي إلى بداية صعود المسلمين ونهاية الغرب.وفي هذا الصدد فإن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عــبّر عــن نفــس المعــنى بقولــه: "إن معركتنا في العراق معركة اســتراتيجية يجب أن ننتصر فيها بأي ثمن"، وقوله: "لو قدر لبريطانيا الانسحاب من العراق فإن المتشددين سيطالبون خروج القوات الأجنبية من أفغانستان، ومن ثم الشرق الأوسط كله"، وقوله: "إن هزيمة أمريكا فــي العراق هزيمة للغرب كله". ثم قول هنري كيسنجر -أحد حكماء الغــرب-: "هل تعرفون معنى الهزيمة في العراق؟! إن معناه خسارة الغرب لكل ما حققه في خمسة قرون".

الشرق الأوسط الكبير



الشرق الأوسط الكبير

الشـــرق الأوســـط الكبير أو الشرق الأوسط الأوسع نطاقا أحدث صيحة في عالم المبادرات الأمريكية والأوروبية لإعادة صياغة المنطقة بمـــا يخدم المصالح الأمريكية والصهيونية والفرنسية عمومًا. المسألة إذا ليســـت جديدة تمامًا ولكن فيها ما هو جديد أيضًا فمثل هذه المشروعات والمـــبادرات لـــم تنقطع منذ حرب الكويت عام ١٩٩١ في إطار انفراد أمـــريكا بالهيمـــنة علـــى العـــالم بعـــد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الاشتراكية والتواجد الفعلي للقوات الأمريكية في المنطقة بعد حـــرب الكويت عام ١٩٩١ لتكمل مع إسرائيل حلقة الاحتلال والهيمنة، وقـــد شهدنا مثل تلك المبادرات منها ما يسمى بالسوق الشرق أوسطية ، وهي فكرة أمريكية صهيونية تستهدف إدماج إسرائيل في المنطقة وإفقاد العـــرب والمســـلمين الهوية والثقافة والتميز الحضاري وبالتالي الانتماء الـــى الشرق الأوسط أو عالم المصالح و(البيزنس) والسلام – وهو وهم طـــبعًا-. ثم ما يسمى الانتماء لبحر المتوسط، وهي فكرة أوروبية تحقق أهدافـــا قريـــبة مـــن الأهـــداف الســـابقة، أي استبدال الانتماء العربي والإســـلامي بالانتماء إلى ثقافة البحر المتوسط، وهذه بالطبع أقل خطرًا مـــن الشرق أوسطية رغم أنها تدمج إسرائيل أيضًا في المنطقة، ولكنها تتعارض شيئًا ما مع المفهوم الأمريكي للمنطقة.

ثــم بعد ذلك ظهرت مبادرة (كولن باول) للشراكة والسلام والتنمية، وقــد تــم رصــد اعــتمادات وأمــوال وإنشاء صحف وقنوات فضائية وتليفزيونــية للتبشير بتلك القيمة وغيرها، ثم أخيرًا مشروع بوش المسمى بالشرق الأوسط الأوسع نطاقا، وهو يضم حسب تعريف بوش نفسه العالم العربــي + إسرائيل + إيران، وباكستان ، وتركيا ، وأفغانستان؛ أي نطاق عربــي إسلامي يقبل باندماج إسرائيل فيه وهو هنا يشبه مشروع الشرق أوســطية المعروف، ثم حديث عن التنمية، وعن الرخاء وأرقام عن تدني الدخــول ، وتدني مستوى المعيشة ، تفشي البطالة و الأمية، وكأن السيد الأمريكــي اكتشــف ما هو غير معروف لحالتنا. بديهي فإن الوعد هنا الــرخاء الاقتصادي وهو وهم طبعًا (فالحدأة لا تلقي بالكتاكيت)، المهم في المسألة أن ذلك كله بشرط دعم اقتصاد السوق، أي تسليك مواسير النهب والهيمــنة وإعادة هيكلة المجتمعات لإفقادها الهوية والثقافة، ثم حديث عن دور المــرأة وتحريرها، وهو حديث ممجوج من كثرة تكراره وحق يراد به باطل، وكذا دعم مؤسسات المجتمع المدني طبعًا بشروط أن تكون تلك المؤسســات ناشــئة فــي ظل العولمة ووفقا لمفاهيمها وأجندتها وليست مؤسسات أهلية إسلامية كانت ولا تزال معروفة ومؤثرة، وأخيرًا الحديث التقلــيدي عــن الديمقراطــية وحقوق الإنسان ونزاهة الانتخابات ووقف التعذيــب والانــتهاكات، وهو حديث منافق تمامًا لأنه يمس وترًا حساسًا وصــحيحًا، ولكنه نوع من الخيار بين الوهم والجحيم؛ وهم إمكانية تحقيق الحــرية عن طريق الاستعمار، وجحيم دعم الحكومات المستبدة نكاية في أمريكا. وينبغي بالطبع أن نكون موقفا مركبًا يرفض الاستعمار ويرفض الاستبداد في نفس الوقت.

دكتاتورية ونفاق

علـــى كـــل حــــال فإن الحديث المنافق عن الديمقراطية وحقوق الإنسان يستدعي قدرًا أكبر من المناقشة ووضع النقاط على الحروف، فبداية فإن الذي صنع الديكتاتورية وصنع التطور الاجتماعي الصحيح فـــي المـــنطقة هو الاستعمار ذاته وأمريكا وإسرائيل تحديدًا، وجورج بوش نفسه اعترف بأن أمريكا دعمت الاستبداد في المنطقة لمدة ستين عامًـــا، وقـــد آن الأوان لوقف هذا الخطأ والجزء الأول من كلام بوش صـــحيح؛ وبالتالـــي ينبغي لإصلاح الخطأ الاعتذار ودفع التعويضات للمتضـــررين وهم كثير من الذي انتهكت حرياتهم ومحاكمة المسؤولين عـــن ذلـــك أمثال كسينجر وكلينتون وبوش الأب وفيهم من لا يزالون أحياء مثلا !!

أما الجزء الثاني من كلام بوش فهو نفاق محض ، ذلك أن أمريكا نفســـها لا تطـــيق ولا تقـــبل حكومات منتخبة ومقبولة شعبيًا ولا تقبل بديمقراطية حقيقية في المنطقة؛ لأن ذلك يقود مباشرة إلى ظهور التيار الإســـلامي وثقافـــة المقاومـــة وهمـــا خطر على المشروع الأمريكي الصـــهيوني قطعًا ، ثم إن التاريخ القديم والحديث بل والآتي للولايات المـــتحدة لا يبشر بذلك؛ فهي أولاً دولة قامت على إبادة شعب آخر ثم اســـترقت الســـود ثـــم مارست طوال تاريخها العدوان على الآخرين وارتكبـــت مـــن المذابح ما يكفي لتسويد صفحتها، ثم هي التي أسقطت الديمقراطـــيات ودعمت المستبدين وتآمرت ضد زعماء وطنيين .. الخ .. ثـــم هـــي نفســـها التي تدعم إسرائيل التي تنتهك كل حقوق الشعب

الفلسطيني يوميًا على مدار الساعة، وهكذا فإن الحديث عن الديمقراطية أمريكيًّا هو نفاق محض، أضف إلى ذلك أنه على مستوى اللحظة والراهن؛ فإن أمريكا قد ثبت كذبها في موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان في كل من أفغانستان والعراق فلم تحقق في أيٍّ من البلدين لا الرخاء ولا الأمان ولا الديمقراطية؛ بل العكس كان هو الصحيح على طول الخط، فالبطالة زادت والمعاناة الاقتصادية تفاقمت والأمن والأمان ضاعا تمامًا، فضلا عن فقدان الاستقرار والكرامة.

أمريكا فقدت المصداقية

وعلى مستوى الأحداث الجزئية ذات الدلالة؛ فإن قيام القوات الأمريكية بقتل أسرى قلعة جانجي في أفغانستان، وإصدارها الأوامر بقتل كل أسير ينتمي لطالبان والقاعدة، ثم ما حدث ويحدث في معتقل جوانتانامو والتعذيب والمهانة في سجن أبى غريب وغيره من السجون في العراق، وكذا الممارسات القمعية والتمييزية والعنصرية ضد العرب والمسلمين في أمريكا كلها تقول بأن فاقد الشيء لا يعطيه وأن حديث أمريكا عن الديمقراطية هو نفاق محض.

في هذا الصدد فإن أحدًا لا يصدق أمريكا حتى الأمريكيين والأوروبيين بل والمتعاطفين مع النموذج الأمريكي بين المثقفين العرب؛ فالمفكر الأمريكي (فوكوياما) صاحب نظرية " نهاية التاريخ " التي بشر فيها بسيادة الليبرالية الغربية يرى أن دعوة أمريكا إلى الديمقراطية تفتقر إلى المصداقية، والصحفي البريطاني (روبرت فيسك) يقول الشيء نفسه مع إضافة أن أمريكا تدعم الطائفية وتمنع الديمقراطية في العراق؛ بل

ويقــول: إن الغــرب نفسه هو الذي منع التطور الديمقراطي في المنطقة؛ فبريطانــيا مــثلاً هي التي منعت بالقوة التطور الديمقراطي في مصر في الثلاثينــيات مــن القرن الماضي. والدكتور (عبد المنعم سعيد) وهو مفكر مصــري وصــحفي بالأهرام ورئيس مركز الأهرام للدراسات السياسية والاســتراتيجية وهو بالمناسبة مع النموذج الأمريكي وضد المقاومة ومع التطبــيع .. الــخ اكتشــف أخــيرًا أن الاســتثناء الأمريكي بخصوص الديمقراطية قد انتهى، وأن المدينة المضيئة على التل قد أصبحت معتمة!! وأن هناك أيديولوجية شوفينية بدأت تترعرع في أمريكا ذاتها.

الجديد في المبادرة

الجديــد فــي مبادرة الشرق الأوسط الكبير هو أن الأمريكان قد لجــئوا هذه المرة إلى إشراك الأوروبيين في المسألة، وهذا بالطبع جاء تحــت ضــغط المقاومة العراقية التي يمكن أن تتحول إلى حالة عربية إســلامية وتكون خطرًا على المشروع الغربي برمته وليس المشروع الأمريكــي فقــط، وأمــام مــثل هذا الخطر؛ فإن أمريكا تتخلى عن غطرســتها وتشــرك الأوروبيــن معهــا والأوروبيون يتنازلون عن مصــالحهم المتعارضــة مــع أمريكا لمواجهة هذا الخطر ويشاركون الأمريكيين في المسألة، وهذا ما يفسر قبول الأوروبيين بالمشاركة في المبادرة، بل وتتخلى ألمانيا عن معارضتها لأمريكا عمومًا وهكذا أقوال وزيــر خارجيتها التي تصب في دعم أمريكا تمامًا، وهذا الموقف ليس جديدًا لا على أوروبا ولا على أمريكا؛ فهناك بالطبع تناقضات مصالح بين هذه الدول وبعضها ولكنها تناقضات ثانوية في النهاية يتم تسويتها

باقتسام الكعكة أو زوالها بظهور خطر حقيقي عليها كلها مثل خطر المقاومة والتاريخ مملوء بنماذج لزوال تلك التناقضات الثانوية مثل ترحيب فرنسا بالاحتلال الإنجليزي لمصر ١٨٨٢؛ وذلك لذبح الثورة العرابية لأنها كانت تشكل خطرًا على المشروع الاستعماري الأوروبي بأكمله وقد قال ذلك مباشرة وزير خارجية فرنسا في إطار تهنئته للإنجليز بهزيمة عرابي، والأمر نفسه حدث في الاتفاق الودي الفرنسي الإنجليزي عام ١٩٠٤ والذي ضربت فيه فرنسا الحركة الوطنية المصرية في ظهرها بعد أن أظهرت لها التأييد قبل ذلك وهو نفسه ما يفسر الموقف الفرنسي "الضمير الفرنسي المطاط" في الموقف من العراق منذ عام ١٩٩٠ وحتى الآن والموقف الألماني مؤخرًا والموقف الروسي "السوفيتي" عام ١٩٦٧...، وغيرها من الأمور التي تبدو غير مفهومة بعض الوقت ما لم يتم وصفها في إطار نظرية التناقضات الثانوية التي تزول أمام التناقض الجوهري وهو التناقض بين الحضارة الإسلامية ككل والحضارة الغربية ككل!

صناعة خارجية مرفوضة

بقي أن نقول إن تلك المبادرات تأتي بطريقة فوقية، فلا الشعوب شاركت في مناقشتها - وهذا طبيعي - ولا حتى الحكومات الصديقة للغرب تم استشارتها وهذه إهانة لها! وهي مبادرات على طريقة القص واللصق، ومهما كانت النية وراءها؛ فإن الجسم العربي الإسلامي سيرفضها بالضرورة بحكم التكوين الحضاري والثقافي وبحكم الحساسية التاريخية وبحكم أنها صناعة خارجية

٢٤

مانفستو المقاومة

مانفستو المقاومة

مع كثرة الحديث عن مشروعات الإصلاح ، وكثرة الأطروحات التي تنافس حالة التخلف والانحطاط العربي والإسلامي ، فإن من الضروري علميا وموضوعيا وشرعيا تحديد نقطة الانطلاق الصحيحة ،من ثم البرنامج الملائم للإقلاع من تلك الحالة التي تعانى منها أمتنا

إذا كان من الضروري بداية -لوضع تصور صحيح للإقلاع والإصلاح أن نحدد طبيعة الجماعة البشرية التي نحن بصدد تحديد أمراضها ومن ثم وضع الوصفة الصحيحة لعلاجها ، وكذا طبيعة التحدي والأمراض التي توجهها تلك الجماعة البشرية ، أي الانطلاق من نقطة مبدئية وهي أننا لا نتعامل مع جماعة بشرية مصمتة ليس لها سمات ولا خصائص وكذلك أننا لا نتعامل مع مجموعة أحجار أو أشياء مادية تخضع فقط لقانون وسنن الفيزياء والكيمياء ... الخ ، لكان علينا في البداية تحديد من هي هذه الجماعة البشرية التي نحن بصددها ، وبدون الدخول في تفصيلات كثيرة فنحن أمام جماعة بشرية -العالم العربي والإسلامي- لها تاريخ وحضارة وثقافة عميقة جدا -وبصرف النظر عن إيجابية أو سلبية تلك السمات الثقافية والحضارية لتلك الجماعة- فإن هذه الجماعة تتأثر بالضرورة بتلك السمات الثقافية والحضارية ومن ثم فإن تجاهلها يؤدي مباشرة إلى الفشل بل تكرير الحالة التي نريد علاجها ، هذه الأمة إذن أمة إسلامية شئنا أم أبينا ،

وبالـــتالى فإن المكون الرئيسى والأساسى لوجدان وثقافة هذه الأمة هو الإســـلام كديـــن وحضارة وثقافة بالنسبة للمسلمين (الأغلبية الساحقة) وكـــثقافة وحضارة بالنسبة لغير المسلمين داخل تلك الأمة ، وهكذا فإن شـــرط النجاح الأول لأى مشروع هو إسلاميته ونحن فى الحقيقة أمام أمـــة هى الأعمق ثقافيا وحضاريا بلا استثناء -بالنسبة لكل الجماعات البشـــرية (١٤ قرنا على الأقل واتساع جغرافى وامتداد زمانى وثقافى وتأثـــير واضـــح للإسلام لا تخطئه عين أى مراقب- وهكذا فإن وهم تغييـــب الإسلام والحضارة والثقافة الإسلامية -بوعى أو بدون وعى- كرها أو رغبا هو قفزة فاشلة فى المجهول والفراغ ، ولن تحدث مطلقا مهمـــا فعلنا أو فعل غيرنا ، إنها محاولة محكوم عليها بالفشل ونتيجتها الحتمـــية ضياع الوقت والجهد ومسخ ذلك الكيان جزئيا ومن ثم تعطيله عـــن التصدى الصحيح والكفء للتحديات والأمراض ، وهذا بالتحديد هـــو السبب الأساسى لفشل كل مشروعات النهضة على الأساس غير الإســـلامى (العلمانى الليبرالى) العلمانى القومى ، العلمانى الاشتراكى بكـــل درجاتـــه) والنتيجة هى ما نشاهده الآن من نتائج تلك المحاولات الـــتى استقطعت من عمرنا وجهدنا الكثير بلا طائل ، بل بنتيجة عكس المطلـــوب تمامـــا ، الإســـلامية إذن هى الشرط الأولى لأى مشروع للإصلاح ، ولكن العنوان لا يكفى فلابد من تحديد ما تحت العنوان وما بعـــد العنوان وإذا قلنا أن هذه الأمة غير قابلة للذوبان الحضارى لأنها الأعمـــق حضاريا وثقافيا ، فإن هذا يقود إلى الإيمان باستحالة هزيمتها هـــزيمة عسكرية وسياسية نهائية ، وإذا بدأنا من تحديد أسباب التراجع وقلـــنا أن المنحنى الإسلامى صمد منذ البعثة المحمدية ثم ساد العالم ، ثـــم ثبت هذا المنحنى ، ثم نزل وأننا الآن فى حالة نزول حضارى - هـــزيمة تكنولوجية واضحة- يجب الاعتراف بها أولا ، ثم العمل على

تجاورها ثانيا ، وإذا بحثنا عن سبب نزول هذا المنحنى -وقبل ذلك سبب صعوده ، لكان من الممكن تلخيص المسألة فى كلمة واحدة ، هى كلمة الجهاد ، فطالما قامت هذه الأمة بالجهاد ، كواجب شرعى وفعل حضارى لإنقاذ المستضعفين فى العالم- كلما صعد المنحنى الحضارى لأمتنا وكلما تخلينا عن هذا الواجب وأبطلنا هذه الفريضة أو اكتفينا بالدفاع توقف صعود المنحنى ثم ثبت ثم نزل ، ومن ثم فإن الصعود مرتبط باستعادة هذا الفعل ، وفى الحقيقة أن كثيرا من الأطروحات - بعضها إسلامى طبعا- حين تتجاهل هذا البعد ، وتتحدث مثلا عن التنمية الاقتصادية ، الإصلاح السياسى- التربية ...الخ ، فبه

التخلف ، لن نحقق الوحدة مثلا ، ولا الإصلاح الاقتصادى ، ولا الإصلاح السياسى إلا إذا جاهدنا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا وهكذا فإن الجهاد هو كلمة السر الصحيحة والوحيدة ، الجهاد هو شرط التقدم الاقتصادى والاجتماعى وشرط التنمية الحقيقية وشرط كل شئ صحيح وجميل ، فإذا أردنا أن نحقق زراعة أو صناعة أو تعليم أو تربية أو حتى تفوق فنى وأدبى فإن الجهاد هو الشرط الأول ، وهذا المعنى الصحيح للآية المذكورة سابقا ، وللحديث الشريف كذلك يجب بالطبع إدراك بعد الهزيمة التكنولوجية ، والاعتراف بها ويجب أن ندرك أن علينا فى البداية أن نقلل سرعة نزول المنحنى الحضارى لأمتنا ، وأن نوقف هذا النزول تماما ، ثم تحدث انقلابا فى المنحنى ثم نصعد من جديد إن شاء الله ، وبدون هذه المراحل فإننا نقفز فى الهواء - وهذا لعمرى كان خطأ الحركات السياسية الإصلاحية عموما والإسلامية منها خصوصا حتى الآن ، يجب تقديم اجتهاد فكرى وحركى وفقهى يلائم هذا الظرف ويحقق أقصى قدر من فريضة الجهاد .

سندخل مباشرة في بعض الأطروحات المراوغة ، التي تقول إحداها مثلا إننا أمة متخلفة ومهزومة (وهذا صحيح) وأن المواجهة ليست حلا (وهذا غير صحيح) ، ومن ثم فعلينا إتباع الأسلوب الالماني أو الياباني في الإصلاح ، أي ترك موضوع المواجهة والجهاد نهائيا والتفرغ للبناء والإنتاج في محاولة لسد الفجوة التكنولوجية ومن ثم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهذا طرح خاطئ لعدة أسباب ، فالمعركة ضد الألمان واليابانيين لم تكن معركة حضارية ولا ثقافية بل عسكرية وسياسية ، أما نحن فالمعركة ضدنا بالإضافة إلى كونها عسكرية وسياسية واقتصادية فإنها أيضا حضارية وثقافية ، نحن لسنا فقط إزاء مشروع استعماري اقتصادي وسياسي ، بل إزاء مشروع حضاري يستهدف القضاء على أمتنا ، وهناك وجدان صليبي يحرك الأعداء ضدنا ، والمواجهة مع الغرب الصليبي لم تنقطع قط في الزمان ولا المكان بدءا من حياة الرسول وحتى اليوم، مرورا بالمواجهة في الأندلس والمغرب العربي (حرب الألف عام كما يطلق عليها المؤرخون المغاربة - ومرورا بحروب الفرنجة على المشرق العربي الإسلامي ١٠٩٥م - ١٢٩٥م وكذا مرورا بالمواجهات التي خاضتها الدولة العثمانية ، ثم الاستعمار والصهيونية وحتى احتلال أفغانستان والعراق ، فالمسألة هنا أننا أمام عدو لن يقبل بغير الاجتثاث لأمتنا ، ولن يتركنا نبني ونعمر فهو لن يقبل لنا النهضة على الأساس الإسلامي أو حتى العلماني أو على أي أساس ، ونحن أمة وسط ثقافيا وجغرافيا ولسنا جزرا منعزلة ، وبالتالي فالقياس الألماني والياباني قياس مخادع وخاطئ ، بالإضافة إلى أن أمريكا والغرب كان لهم مصلحة في تقدم ألمانيا الغربيه في إطار الصراع مع المنظومة الاشتراكية ، وكذا في تقدم اليابان حتى لا ينفرد الاتحاد السوفيتي أو

الصين بالتمدد فى آسيا وموضوع القياس اليابانى والألمانى خطأ مبدأى بالنظر لظروف وطبيعة الصراع مع الغرب ، وهو أكثر خطأ بعد سقوط الاتحاد السوفيتى السابق والمنظومة الاشتراكية لأنه ليس هناك استقطاب يسمح بهامش من المناورة يمكن أن نفلت بها من موانع الغرب وعراقيله على نهضتنا وهكذا فإن القياس الألمانى واليابانى يحتم المواجهة والجهاد والمقاومة .

من الأطروحات الأخرى المراوغة ، أننا أمة لا قيمة لها وأن الدخل القومى الأمريكى مثلا ١٣ تريليون دولار ، أما الدخل العربى والإسلامى السنوى فهو قليل جدا - العربى ٧١٧ مليون دولار ، أى أصغر من رأسمال شركة مايكروسوفت مثلا أو نوكيا للهواتف المحمولة أو دولة واحدة مثل إسبانيا ، وهذا صحيح ، ومن ثم فإن الغرب لا يضعنا فى اعتباره وليس طامعاً فينا أو لا نشكل له أى نوع من التهديد ، ولعل حجة هؤلاء هى نفسها تنسف منطقهم ، فمادمنا بلا قيمة ولا نشكل خطرا فلماذا تم زرع إسرائيل ، ولماذا تم احتلال أفغانستان ثم العراق ؟.. هل لتدفق البترول مثلا ؟.. وهذا البترول لهم طبعا ، ولكن تدفقه كان مضمونا بدون مخاطر هذا الاحتلال على الأمريكان وحلفائهم ، بل إن أحد الزعماء العرب قال ذات يوم مستغربا ، إنهم يأخذون البترول وحتى صدام حسين شخصيا كان مستعدا لأن يضخ لهم البترول ، إذن فالمسألة لها بعدها الحضارى والثقافى والتاريخى بالإضافة إلى بعدها الاقتصادى والسياسى أما مسألة أننا لا نشكل خطرا عليهم ، فهذا كلام جزئى ، نعم ربما لا نشكل خطرا حقيقيا أو كبيرا الآن ولكن هناك ما يسمى بالقوة الكامنة ، والمنظومة الإسلامية الثقافية تمثل خطرا شديدا على المنظومة الغربية الرأسمالية لأنها تشكل البديل الأيديولوجى لكل مستضعفى العالم للثورة على الرأسمالية بعد فشل الماركسية ولا هوت

التحرير المسيحي ، وبديهي أن الماركسية ولاهوت التحرير المسيحي كان لابد أن يفشلا أمام الرأسمالية لأنه من الناحية العلمية والموضوعية فإن الماركسية ولاهوت التحرير المسيحي قد خرجا من نفس الأرضية الحضارية التي أفرزت الرأسمالية ومن الطبيعي أن هذا سبب جوهري وبنيوي للفشل ، أما الإسلام فهو منظومة ثقافية مختلفة أولا -ليست نابعة من المنظومة الحضارية الغربية وهي ذات تراث ونصوص منحازة للفقراء .. ثانيا وبالتالي قادرة على تقديم التبرير النظري للثورة على الرأسمالية ، وهي ذات خطاب عالمي ثالثا وبالتالي فهي يمكن أن تصلح كأيديولوجية أو جذر ثقافي للبشر المستضعفين والمتضررين من الرأسمالية (وهم أكثرية العالم) سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، ثم إن الخطاب الإسلامي خطاب غير عنصري ، أضف إلى ذلك أن الرقعة الجغرافية المتوسطة وذات الاتساع الكبير التي يشغلها العالم الإسلامي -وكثافته السكانية الكبيرة والواعدة ، ثم ثقافة القتال والجهاد ، والاعتماد على مدد الله يمكن أن تشكل مصدرا لا ينضب للمجاهدين والمناضلين ، وهكذا فإن خوف الغرب وأمريكا من الإسلام والمسلمين له أسبابه القوية والخطيرة أيضا ، وحديث المفكرين والسياسيين الغربيين عن الخطر الأحقر ليس وهما ولا خداعا ، بل إدراك مبكر أو تقليدي لما يمكن أن يمثله الإسلام والمسلمون إذا ما ساءت ثقافة المواجهة والمقاومة وتم استعادة فعل الجهاد الجميل .

لماذا نقول مشروع المقاومة ، ولا نقول مثلا مشروع الإصلاح السياسي أو الاقتصادي أو التربية أو غيرها ؟!.. ذلك كما قلنا لأننا أمة لن تنهض ولن تتقدم إلا بالجهاد ، وذلك لأننا أمة مستهدفة ، والسيف فوق رءوسنا ، فهل نخدع أنفسنا مثلا ؟.. وقد بان الأمر الآن ، فأمريكا وبريطانيا والحلفاء جاءوا بجيوشهم والانطباق الكامل بين

إســـرائيل وأمريكا أصبح واضحا للعيان لا تخطئه عين وخاصة بعد ما يســـمى (بوعـــد بوش) الصادر مع شارون فى مؤتمر صحفى ١٤/٤/ ٢٠٠٣ ، وهـــو مفهـــوم من قبل ولكن ذلك لمن يريد حجة دامغة بدون جهد!!..

وكذلـــك لأن الله تعـــالى وضع لنا الحل الصحيح فى القرآن الكريم ﴿ يَــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْــضٍ وَمَــنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِــرَةٌ فَعَسَـــى اللَّـــهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾(المائدة: ٥١ـــ٥٢)

وهذه الآيات تنطبق على حالتنا الراهنة تماما ، حيث أنه لم يحدث تحـــالف –فضـــلا عن موالاة– بين اليهود والنصارى إلا فى السنوات الأخـــيرة ، بـــل كان العداء بين الطرفين هو سيد الموقف دائما لدرجة ظهـــور ما يسمى بالمسألة اليهودية أو العداء للسامية فى الفكر الغربى والـــيهودى علـــى حد سواء ، المهم أن هناك الآن موالاة – والموالاة أعلى من التحالف بين الغرب وإسرائيل وهناك احتلال أمريكى لمناطق وبلاد عربية وإسلامية ومنطق الذين لا يريدون المقاومة ولا القتال ولا الجهـــاد ولا الاستشهاد يسارعون بينهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أى نخـــاف منهم لأنهم أقوى منا بمراحل –نعم هذا صحيح– ولكن لنا أدواتـــنا ووســـائلنا لخـــوض المواجهة ، بالمقاومة الشعبية التى أثبتت نجاحهـــا فى فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان ، وبسلاح الاستشهاد الـــذى لم يجدوا له علاجا ، ولن يجدوا إن شاء الله –حتى الآن– وحتى بصـــرف النظر عن النتائج فإن الله تعالى طلب منا ذلك وفضح منطق

المسـارعين فـيهم ، وبشرنا بأن الفتح أو أمر من عنده سوف يأتينا ، ونحـن بأنـنـى نطـرح المقاومة ومشروع المقاومة والموجيه كحل صـحيح وكفريضـة شـرعية ، وكتوجيه قرآنى ، وكذلك من الناحية العلمـية والموضـوعية فهـو سلاح وطريقة وأسلوب أثبت نجاحه ، فالمقاومـة العراقـية أثبتـت حتى الآن أنه رغم كل الظروف الصعبة وغـير المواتـية نجحت فى تعطيل المشروع الأمريكى ، وفى سبيلها لإنهائه إن شاء الله ، نفس الأمر بالنسبة لمشروع المقاومة فى فلسطين الـذى جـاء أيضـا فـى ظروف غير مواتية ، ومع ذلك هز "الوجود الإسـرائيلى هزا ، والقت بظلال من الشك حول المشروع الصهيونى ذاتـه كمـا اعترف بذلك قادة العدو وكبار مفكريه والأمر ذاته بالنسبة للمقاومة فى لبنان .

مشروع المقاومة إذن أثبت أنه يمتلك مقومات النجاح وإذا أدركنا أننا فـى حالة هزيمة تكنولوجية وأنه من المستحيل عمليا مواجهة آلة الحـرب العسـكرية والسياسـية والاقتصـادية الأمريكية والصهيونية بالجـيوش أو الـدول أو المؤسسات الرسمية "وكل التجارب دلت على ذلـك" فإن التجارب ذاتها دلت على أن المقاومة الشعبية استطاعت أن تـبرز وتـأخذ مكانهـا ، وهـى سوف تحقق أولا نوع من التصدى والصمود يمنع وصول المنحنى الحضارى الإسلامى إلى نقطة السقوط النهائـية ، والمقاومة سوف تزيد وعى الشعوب بالتحديات التى تحيط بها ، وتوقظ هذه الشعوب وتعالج الأجزاء المريضة فى الجسد العربى والإسلامى ، وبالتالى يزداد هذا الجسد حيوية ، ولا شك أن ذلك سوف يـزيد قدرة هذه الشعوب على انتزاع حقوقها السياسية ، ومن هنا فإن مشـروع المقاومة هو المقدمة الأولى والصحيحة والجوهرية للإصلاح السياسـى ، وعلـى نفـس النمط هو المقدمة الأولى والصحيحة للتقدم

الاقتصـــادى وإشـــاعة روح الوحدة والتكافل والحيوية والإيجابية ، بل ســوف تفجــر طاقة الابتكار العلمي والتكنولوجى أيضاً ، وهكذا فإن مشــروع المقاومة وإشاعة ثقافة المقاومة هو الأسلوب الصحيح شرعيا وواقعــيا ، وفى أسوأ الحالات فإن التخلى عن الجهاد والمقاومة يعنى الإبــادة والقــتل والتدمير والنهاية الحضارية وتحولنا إلى عبيد أو قتل الجزء الأكبر منا وتحويل الباقى إلى عبيد أما المقاومة فهى إما نصر وإمــا شهادة ، وحتى لو كانت النتيجة هى الهزيمة فإن خسائر الهزيمة لن تكون أسوأ من حالة الانبطاح ، وعلى الأقل هناك الكرامة ، وهناك الــتجربة التى يمكن تكرارها مع الأجيال القادمة ، أى المحافظة على الجذوة مشتعلة تحت الرماد .

ولــن تكــون مغرقين فى الوهم أو التفاؤل حين نقول أن مشروع المقاومــة لن يحقق فقط العزة والكرامة لنا ، بل سيكون بداية لتحرير العــالم كله من الهيمنة والظلم الأمريكى الصهيونى ، وهذا سوف يرفع قــيمة أطروحتــنا الثقافــية عالمــيا ، بل يمكن أن يتحول الإسلام إلى أيديولوجية لكل المستضعفين والمناهضين للرأسمالية والعولمة ، وحتى بمنطق الدعوة المباشر فإن المواجهة والمقاومة ستكون طريقا صحيحا لدخول الناس فى دين الله أفواجا .

ف: 7821 ت: 18/8/2009

فهرس الكتاب

صراع الحضارات



دار الروضة للنشر والتوزيع